أدب الرحلات من خلال مظاهر من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة ١٦٦١-١٧١٠م

الدكتورة بنان محمد صلاح الدين

جامعة القدس – كلية الآداب – قسم اللغة العربية وآدابها

البريد الإلكتروني Email : bsalaheddin@staff.alquds.edu

banan_mh_73@hotmai.com

الكلمات المفتاحية: المدينة المنورة ، المسجد النبوي ، العادات والتقاليد ، المرأة المدينية ، الآغوات ، أدب الرحلات.

كيفية اقتباس البحث

صلاح الدين، بنان محمد، أدب الرحلات من خلال مظاهر من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة ١٦٦١-١٧١٠م، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،٢٠١٩، المجلد:٩،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Literature trips through the manifestations of social life In Medina 1661-1710 AD

Dr. Benan Mohamed Salah Eddin
Al - Quds University - Faculty of Arts -
Department of Arabic Language and Literature

Keywords: Medina, Masjid al-Nabawi, customs and traditions, urban women, idiots, travel literature.

How To Cite This Article
Salah Eddin, Benan Mohamed, Literature trips through the manifestations of social life In Medina 1661-1710 AD, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2019,Volume:9,Issue: 1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Summary

The aim of this study is to study some social phenomena in Madinah during the period from 1661 to 1710, relying mainly on three trips as the main source of study by the authors during this period. The first trip was for Abu Salim al-Ayyashi and was carried out during the period 1661-1662, while the second trip was by Sheikh Abdul Ghani al-Nabulsi. It was between 1693 and 1694, and the third was by Sheikh Nasser al-Derai, which took place between 1709-1710. The three trips as a literary and historical source provided basic information about some social aspects of Madinah during the study period.

The study dealt with customs and social traditions in Madinah, including religious customs. It included customs related to the five prayers and Friday sermons in the Prophet's Mosque, the customs associated with

celebrating the Prophet's birth, and the cleanliness of the Haram. The study also dealt with customs related to clothing, food, marriage, recreation and recreation, and finally urban women and their social status.

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى البحث ببعض المظاهر الاجتماعية في المدينة المنورة خلال الفترة مابين ١٦٦١ -١٧١٠ وذلك بالاعتماد بشكل رئيس على ثلاث رحلات كمصدر رئيس للدراسة قام بها مؤلفوها خلال هذه الفترة . كانت الرحلة الأولى لأبي سالم العياشي و قد قام بها خلال الفترة ١٦٦١-١٦٦٢ ، بينما قام بالرحلة الثانية الشيخ عبد الغني النابلسي وكانت خلال الفترة مابين ١٦٩٣-١٦٩٤،أما الرحلة الثالثة فكانت للشيخ ناصر الدرعي التي قام بها في الفترة ما بين ١٧٠٩-١٧١٠ . وقدمت الرحلات الثلاث باعتبارها مصدراً أدبياً وتاريخياً بالدرجة الأساسية معلومات قيمة عن بعض الجوانب الاجتماعية في المدينة المنورة خلال فترة الدراسة .

تناولت الدراسة العادات والتقاليد الاجتماعية في المدينة المنورة منها العادات الدينية و قد اشتملت على العادات المرتبطة بالصلوات الخمس وخطب الجمعة في الحرم النبوي ، والعادات المصاحبة للاحتفال بالمولد النبوي الشريف بالإضافة إلى الاهتمام بنظافة الحرم ، وأخيراً العادات المرتبطة بالحجاج . كما تناولت الدراسة أيضاً العادات المتعلقة بالملبس والطعام والزواج والتنزه والاستجمام ،وأخيراً المرأة المدينية ومكانتها الاجتماعية .

المقدمة

تتبوأ المدينة المنورة مكانة هامة عند المسلمين في كافة بقاع العالم، نظراً لمكانتها الدينية والتاريخية والعلمية، ففيها تكونت نواة الدولة الإسلامية الأولى بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة حيث وضع فيها أسس وبنيان الدولة. وفيها المسجد النبوي الشريف الذي تتضاعف فيه الصلاة عن غيره من المساجد ، وفيه الروضة الشريفة ومنبر الرسول صلى عليه وسلم، كما أنه أحد المساجد التي تُشد إليها الرحال، فقد قال صلى الله عليه وسلم "لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى".

وتُعد المدينة المنورة أيضاً مهبط الوحي، كما تشتمل على الكثير من الأماكن والمشاهد المقدسة التي لها ارتباط بالرسول صلى الله عليه وسلم لا سيما مقبرتي البقيع وشهداء أُحد اللتين ضمتا بين جنباتهما مثوى آلاف الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان. وقد نوّه الله سبحانه وتعالى بشهداء أُحد في كتابه العزيز "**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ**

أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ*فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ*يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ*الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَاأَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ*الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْجَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًاوَقَالُوا حَسْبُنَااللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ*...[١].

ونظراً لهذه المكانة، فقد غدت زيارة المدينة أملاً تهفوا إليه نفوس المسلمين في كافة بقاع الأرض وأركانها، وأخذوا يتطلعون بشوق لزيارتها والإقامة فيها[٢]. وأصبحت أيضاً محط رجال العلماء والأدباء وعامة الناس، فظهر ما يسمى بالرحلات الحجازية التي تُعد وسيلة من وسائل التواصل بين المسلمين[٣] . وكان هناك رغبة جامحة من قِبل الكثير من العلماء والفقهاء في العالم الإسلامي في الاطلاع على الاتجاهات العلمية والفكرية عند علماء المدينة والحصول على الإجازات العلمية من علماء المدينة أو من عاش فيها من المجاورين[٤].

لقد نقل الرحالة الذين زاروا المدينة خلال فترات زمنية مختلفة صوراً حية وصادقة عن المجتمع المديني والأوضاع المعيشية فيه من عادات وتقاليد مختلفة وفئات اجتماعية واحتفالات وطبيعة الأطعمة والأشربة والملبس وغير ذلك مما يرتبط بالحياة الاجتماعية للمجتمع.

وتضمنت كثير من الرحلات نوعاً من الحركة تمثلت بمخالطة الناس في المجتمع، وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في المجتمع خلال فترة زمنية معينة، وبالتالي فالرحلة تصور إلى حد كبير بعض ملامح العصر الذي عاش فيه الرحالة، بالإضافة إلى عناصر ثقافة المدينة أو البلد الذي زاره أحوال السكان فيه[٥].

وبالإضافة إلى ما تقدمه كتب الرحلات من معلومات قيّمة وغنية في مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية والسياسية. إلا أننا نجد في أدب الرحلات مختلف الفنون الأدبية من القصة والرواية والشعر والنثر والسيرة الذاتية وغير ذلك من أنواع الأدب. فالرحلة ترتبط بعلاقة وثيقة بالأدب لا سيما أن الأسلوب الذي استخدم في صياغتها ارتفع إلى عالم الأدب، فأبرز ما يميز الرحلات أسلوب الكتابة القصصي الذي يعتمد على السرد المشوق والمؤثر للتعبيرات السهلة المؤدية للغرض.

ومن هنا فالرحلة بشكل عام تُعد مصدراً هاماً للكثير من النصوص الأدبية سواء أكانت شعراً أم نثراً، بالنظر لما اشتملت عليه الكثير من الرحلات من قصائد شعرية ورسائل نثرية مما له ارتباط بظروف الرحلة الأمر الذي يجعل منها ذات أهمية أدبية خاصة[٦].

تعتمد هذه الدراسة على رحلات ثلاث قام بها أصحابها بزيارة المدينة المنورة خلال الفترة مابين ١٦٦١-١٧١٠ م . تعرف الرحلة الأولى باسم "ماء الموائد" أو "الرحلة العياشية نسبة إلى أسرة الرحالة التي قام بها وهو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى بن محمد بن يوسف بن عبد الله العياشي، ويلقب بعفيف الدين المالكي، واشتهر بكنيته أبي سالم كثيراً. ويتصل نسبه بالأشراف الأدارسة. ولد في قرية تازروفت في الأطلس الكبير عام ١٠٣٧هـ/١٦٢٨م. بينما توفي عام ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م إثر إصابته بمرض الطاعون[٧].

بدأ تكوين أبي سالم العياشي على يد والده وشيوخ الأسرة، فكان والده أول شيوخه في التربية والتعليم، فقرأ عليه القرآن ولقنه الذكر في الزاوية العياشية التي أنشأها عام ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م وتُعرف الآن بزاوية سيدي حمزة، وتقع على ضفاف أحد روافد نهر زيز جنوبي مدينة ميدلت[٨].

أخذ العياشي يسعى لتوسيع دائرة معارفه عن طريق الرحلة في المغرب وفي المشرق فقد قام بثلاث رحلات إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، كانت الرحلة الأولى عام ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م. بينما كانت الرحلة الثانية عام ١٠٦٤هـ/١٦٥٤م وقد اختلفت عن الرحلة الأولى في تحقيق رغباته التعليمية فاهتم بالمطالعة والسماع والحضور فتشعبت روايته واتسعت أسانيده التي اتصلت في ميادين العلوم النقلية والتصوف معاً. أما الرحلة الثالثة فقام بها عام ١٠٧٢هـ/١٦٦١م وتُعد من أهم الرحلات التي قام بها سواء داخلية أم خارجية، وقد أرّخ فيها وسجّل الإفادات والاستفادات التي حصلت له منذ اليوم الأول في رحلته[٩].

بدأ العياشي رحلته يوم الخميس الموافق ١ ربيع الأول ١٠٧٢هـ/٤ تشرين أول ١٦٦١م. ووصل إلى مكة المكرمة يوم السبت في الخامس من ذي الحجة عام ١٠٧٢هـ/٢١ تموز ١٦٦٢م، وبذلك تكون رحلته قد استغرقت تسعة أشهر وخمسة أيام. أما الفترة التي أقامها في المدينة المنورة فكانت سبعة أشهر ونصف، ونسبة ذلك نحو ٨١% من إجمالي الفترة الزمنية للرحلة .

ويوضح العياشي هدفه من هذه الرحلة بأنه أراد منها أن تكون ديوان علم وأدب فيقول: "وقصدي إن شاء الله من كتابة هذه الرحلة أن تكون ديوان علم، لا كتاب سمر وفكاهة، وإن وُجِد الأمران فيها معاً فذلك أدعى لنشاط الناظر فيها، لا سيما وإن كان صاحب تكوين، وأما صاحب التكوين فلكل شيء عنده موقع ونفع لا يوجد في غيره، والله المسؤول أن يلهمنا رشدنا ويخلص لوجهه فيما نأتي ونذر قصدنا"[١٠].

أما الرحلة الثانية فكانت بعنوان "الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز" لعبد الغني النابلسي، وهو عالم وأديب وناظم وصوفي، ولد في الخامس من ذي الحجة عام ١٠٥٠هـ/١٧ آذار ١٦١٤م في مدينة دمشق، ونشأ في أسرة بنو جماعة المعروفة بالتدين، وكانت هذه الأسرة قد وفدت إلى مدينة القدس قادمة من حماة خلال القرن السابع الهجري، وتنتمي إلى قبيلة بني كنانة، وقد سكن جده الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله مدينة نابلس [١١]، وبقيت ذريته تقيم فيها فاشتهرت بالنابلسي، وانضم صاحب الرحلة إلى الطريقة النقشبندية[١٢]، وكان قادري المشرب[١٣]. وقد توفي في مدينة دمشق في ٢٤ شعبان ١١٤٣هـ/١٧٣١م[١٤] وترك تراثاً ضخماً من المصنفات بلغت نحو ثلاثمائة مصنف ما بين كراسة ومجلد اشتملت على مختلف أنواع العلوم من تصوف وحديث وعقيدة وفقه وتجويد وتاريخ وأدب[١٥].

عرفت هذه الرحلة باسم الرحلة الكبرى وذلك تمييزاً عن رحلتين أساسيتين قام بهما عرفت الأولى وهي الصغرى باسم "حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز" وقد قام بها عام ١١٠٠هـ/١٦٨٨م. أما الرحلة الثانية وهي الرحلة الوسطى فقد عرفت بـ "الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية" وقام بها عام ١١٠١هـ/١٦٨٩م. وله رحلة أخرى قام بها عام ١١١٢هـ/١٧٠٠م زار خلالها طرابلس عرفت بـ "التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية"[١٦].

بدأ النابلسي رحلته الكبرى "الحقيقة والمجاز" يوم الخميس في غرة محرم ١١٠٥هـ/١ أيلول ١٦٩٣م وانتهى منها في الخامس من صفر عام ١١٠٦هـ/٢٤ أيلول ١٦٩٤م. وتكون بذلك قد استغرقت ٣٨٨ يوماً، أمضى منها ١٠٩ يوماً في البلاد الحجازية، وقد أقام في المدينة المنورة ٨٣ يوماً حيث دخلها يوم الأربعاء الموافق ٣ رمضان ١١٠٥هـ/٥ نيسان ١٦٩٦م وذلك في اليوم ٢٣٨ من الرحلة[١٧] وغادرها يوم الثلاثاء الموافق ٢٦ ذي القعدة ١١٠٥هـ/١٨ تموز ١٦٩٤م في اليوم ٣٢١ من الرحلة[١٨]. وتعادل الفترة التي أمضاها النابلسي في المدينة المنورة نحو ٧٦% من إجمالي الفترة التي أمضاها في الديار الحجازية ونسبة ٢١% من إجمالي الفترة الزمنية للرحلة كلها .

وبين النابلسي هدفه من الرحلة بقوله "لقد كنت فيما تقدم من الزمان مع جملة من الأصحاب والأخوان أتمنى الاستيعاب في زيارة الصالحين من الأحياء والأموات والتبرك بنفحات مجالسهم وهاتيك الحضرات ويكون ختم ذلك بالحج الشريف وزيارة النبي صلى الله عليه في ذلك البلد المنيف إلى أن هيأ الله تعالى من الأسباب وقطع عنا العوائق وفتح علينا هذا الباب"[١٩].

أما الرحلة الثالثة فكانت بعنوان "الرحلة الناصرية"، وقد قام بها أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، ويدعى بالخليفة، ولد في منتصف ليلة الخميس الثامن عشر من رمضان سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م[٢٠] في قرية تمكروت الواقعة على بعد ١٨ كم في إقليم درعة جنوب شرق المغرب[٢١].وتربى الدرعي في أحضان أسرة اشتهرت بالعلم والتصوف، فكان والده ذا مكانة دينية واجتماعية هامة في المجتمع الدرعي[٢٢].وشيخاً للزاوية الناصرية[٢٣] وامتاز بمعرفة واسعة في علوم التفسير والحديث وأصول الدين والعربية والكلام والتصوف[٢٤].

كان الدرعي عالماً نحوياً لغوياً ومؤرخاً[٢٥]، ووصفه الإفراني بأنه كان أيضاً "إمام وقته علماً وعلماً، وقوالاً بالحق، شديد الشكيمة على أهل البدع، لا تأخذه في الله لومة لائم، متصاوناً مقبلاً على ما يعنيه، متابعاً للسنة في أقواله وأفعاله حريصاً على إحياءالسنن وإماتة البدع"[٢٦].

أدى الدرعي فريضة الحج أربع مرات، كانت الأولى سنة ١٠٧٦هـ/١٦٦٦م بصحبة والده، وكان عمره آنذاك تسع عشرة سنة، وكانت الثانية سنة ١٠٩٦هـ/١٦٨٤م وعمره تسع وثلاثون سنة، أما المرة الثالثة فكانت سنة ١١٠٩هـ/١٦٩٧م حيث كان عمره إثنتين وخمسين سنة، بينما كانت المرة الرابعة سنة ١١٢١هـ/١٧٠٩م وعمره آنذاك أربع وستون سنة[٢٧].

وبعد أن عجز والده عن القيام بمهامه في مشيخة الزاوية الناصرية، عيّنه خليفة له ليقوم مقامه في شؤون الزاوية، وكان عمره آنذاك سبعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر[٢٨].

توفي الدرعي في ليلة الجمعة التاسع عشر من ربيع الثاني عام ١١٢٩هـ/١٧١٦م عن عمر يناهز إثنتين وسبعين سنة، ودفن بروضة الأشياخ بزاوية تامكروت[٢٩].

وبالإضافة إلى رحلته، ترك الدرعي مجموعة من المؤلفات كان من بينها "تنبيه السائل ببعض ما هو عنه سائل". وكتاب في السيرة النبوية بعنوان "تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة العالية" ورسالة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[٣٠].

أما رحلته موضوع الدراسة فقد بدأها يوم الخميس ٢٤ جمادى الأولى ١١٢١هـ/٢١ تموز ١٧٠٩م. وانتهى منها يوم الخميس ٦ رمضان ١١٢٢هـ/١٩ تشرين أول ١٧١٠م، وبالتالي تكون قد استغرقت في مجموعها خمسة عشر شهراً وستة أيام أي عام وثلاثة أشهر وستة أيام. واستغرقت رحلة الذهاب وصولاً إلى مكة المكرمة ستة أشهر وسبعة أيام، واستغرقت مدة أدائه لمناسك الحج ثمانية أيام بالإضافة إلى جواره بالمسجد الحرام لمدة تسعة أيام، بينما أقام في المدينة المنورة خمسة أيام فقط وهي فترة قليلة بالمقارنة مع المدة التي قضاها كل من العياشي والنابلسي في المدينة إذ تعادل نحو ٢% من فترة إقامة العياشي ، بينما تعادل نحو ٦% من فترة إقامة النابلسي.

ويلاحظ بأن هذه الرحلة لم تكن نصاً تاريخياً فحسب، بل هي نص أدبي أيضاً، إذ يسمها أسلوب أدبي رصين وعبارة عذبة مسبوكة بحذق، فعلاوة على الفوائد التاريخية التي تضمنتها هذه الرحلة، فقد كانت مصدراً لنصوص نثرية وشعرية بحيث يمكن أن يكون بعضها الشاهد الوحيد عليها بالنظر لانطماس أثرها واندثار أصولها، وقد بلغ عدد الأبيات الشعرية التي تضمنتها هذه الرحلة نحو ١٤٠٠ بيتاً كان فيها من النوادر الشيء الكثير. كما تشكل الرحلة إثراء لمعاجم البقاع والأماكن، إذ اشتملت على أسماع البقاع والقُرى المندثرة مالا يتوفر في كتب المعاجم الجغرافية(٣١).

العادات والتقاليد الاجتماعية في المدينة

كان للمكانة الدينية الهامة للمدينة المنورة لا سيما وجود المسجد النبوي الشريف فيها أن توافد عليها على مر العصور الإسلامية أعداداً كبيرة من الناس من مختلف الأجناس مما جعل من مجتمع المدينة يتسم بتعدد وتنوع أصول سكانه وتنوع أنماط معيشتهم وثقافتهم وبالتالي تنوع العادات والتقاليد.

كان من بين المظاهر التي لفتت انتباه الرحالة حالة الرفاهية ورغد العيش لدى بعض أهالي المدينة، فذكروا أنهم كانوا سابقاً يعرفون بالقناعة، إلا أنهم غدوا من أكثر الناس رفاهية وإسرافاً في المأكل والملبس وبشكل خاص الأعيان منهم، أما الفقراء وغالب المجاورين لا سيما المغاربة فكانوا من الفقراء والمساكين(٣٢). ويعزي العياشي ظاهرة الرفاهية والتوسع في المعيشة والمغالاة في الملابس الفاخرة وتقليد الأعاجم في المأكل والمشرب والملبس بالنظر لكثرة سكن الأعاجم في المدينة، ففيها "طائفة كبيرة من عسكر الترك زاعمين أنهم معدون لحراستها، وفي الحقيقة إنما يأكلون مال السلطان في غير شيء، فلا يغيثون ملهوفاً ولا يردعون ظالماً. وبها من الأعاجم أقوام كثيرون من الأكراد والترك وأطراف الشام يشترون الحصص والجامكية(٣٣)، فيجلسون بالمدينة ويرتزقون بما يأتيهم من ذلك على حالهم التي كانون عليها في بلادهم من التوسعة فاقتدى بهم غالب أهل المدينة من أقويائها"(٣٤).

ويفسر العياشي سبب تفضيل الأعاجم السكن في المدينة وليس بمكة بأن البداوة غلبت على أهل مكة في جميع شؤونهم، كما أنها وطن السلطان (الشريف) وأولاده وأقاربه، ونفوس الأعاجم "لا تنقاد للذل وجريان الأحكام عليها في كل ورد وصدر، فيشمئزون من سكنى مكة ويميلون إلى المدينة لكون عسكر الترك وهم جنسهم. وأحكام السلطان وإن كانت نافذة هناك أيضاً، لكنها بعيدة منهم فليست كمحل وطنه"(٣٥). وبالنظر إلى حالة الرفاهية هذه التي وصل إليها أهل المدينة أخذ بعض العلماء يفضلون ترك الإقامة فيها ويقيمون في مكة وكان من بين هؤلاء العلماء الشيخ أبو

عيسى الثعالبي[٣٦] الذي آثر السكن في مكة على المدينة، وعندما سأله العياشي عن سبب ذلك أجابه قائلاً: "إن أهل المدينة قد تحضروا وغلب عليهم طبع الأعاجم ورفاهيتهم وإسرافهم وتشبهوا بهم في ملبسهم وفي غالب أحوالهم، وأنا امرؤ مسكين فقير أخاف أن ينشأ أولادي وأزواجي ويتطبعوا بطبعهم في ذلك بخلاف أهل مكة فإنهم لم يزالوا على أعرابيتهم واستعمال البداوة وعدم المبالاة والاعتناء في الملبس والمأكل"[٣٧].

وكان من بين العلماء الذين فضلوا اعتزال الناس والابتعاد عنهم الشيخ محمد بن سليمان الروداني[٣٨] إذ اعتكف برباط السلطان بالقرب من الحرم النبوي، ولم يعاشر أحداً في مسكنه، كما لم يكن يخرج في النهار بل حتى في الليل إلّا للزيارة أو أمر مهم. وكانت تمضي فترة شهر أو شهرين دون أن يراه أحد، وكان يتعاطى أحياناً القراءة مع بعض خواصه في بيته في وقت محدد ولم يكن يأذن فيه لغيرهم، وقد لامه العياشي على الاعتزال والانزواء وعدم التدريس في المسجد لنفع العام والخاص، وكثيراً ما كان يبرر ذلك بفساد الوقت ونيات أهله ومشاهدة المنكرات مع عدم قدرته على إزالتها كلبس الحرير وتعاطي الدخان، وخاطب العياشي بقوله: "كيف أجلس إلى قوم أعلم حالهم وحال مكاسبهم من أكل المكوس وتعاطيهم العقود المحرمة شرعاً، مع العلم بذلك، فإن نهيتهم وزجرتهم وقعت معهم في أشد مما وقعوا فيه، وإن سكت عنهم وباسطتهم وألنت لهم القول كنت معيناً لهم وممالئاً لهم على ما هم فيه، وتركت الواجب عليّ من هجرانهم بلا عذر إلى غير ذلك مما هو معلوم"[٣٩].

ويذكر العياشي بأنه انتهى به الورع إلى أن وصل حد ترك أكل ثمار المدينة لفساد معاملة أصحاب البساتين لعمالهم، فكان صاحب البستان يعامل المساقي[٤٠] "أوسق معلومة في كل سنة يدفعها له، وهذا فاشٍ عندهم قلَّ من يعامل المساقي بالجزء المشاع السائغ شرعاً"[٤١].

العادات الدينية

١) العادات المرتبطة بالصلوات الخمس وخطب الجمعة في الحرم النبوي:

جرت العادة لدى أهل المدينة في إقامة الصلوات الخمس في الحرم الشريف بتقديم الصلوات في أول أوقاتها باستثناء صلاة الصبح، إذ يؤخرها المذهب الحنفي إلى قرب الأسفار، أما صلاة الظهر فيصلونها أول ما تزول الشمس، ولا يقبل غالبية الناس إلا بعد أدائها، فيذهبون بعد الصلاة إلى منازلهم لنوم القائلة، ويذكر العياشي بأن ذلك كان يشق على الغرباء قبل تعودهم على ذلك، فكثيراً ما كانت تفوتهم صلاة الظهر لأنهم لا يستعدون لها إلا بعد الآذان، ولا يوجد بعد الآذان والصلاة وقت للتأهب، فمن لم يتأهب للصلاة قبل دخول الوقت تفوته صلاة الجماعة

على الأغلب، وذكر بأن هذه العادة خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يجري تأخير صلاة الظهر "إلى ربع القامة أو أزيد للإبراد في شدة الحر"(٤٢).

أما أول من يصلي من الأئمة فكان الإمام الشافعي ثم يتلوه الحنفي ما عدا صلاة المغرب حيث يتقدم الحنفي بالنظر لكراهة تأخير صلاة المغرب لديه، ولم يكن يؤم في المدينة سواهما من الأئمة من المذاهب الأخرى إلّا في صلاة الجمعة. حيث يصلي صاحب النوبة على أي مذهب كان فيتناوب الإمامان في المحراب النبوي(٤٣) فإذا صلى أحدهما فيه صلى الآخر في المحراب الآخر الكائن على يمين المنبر الشريف، أما المحراب العثماني (٤٤) الكائن في الصف الأول فلا يصلى فيه إلا في بعض أيام الموسم إن كثّر الناس(٤٥).

ويذكر العياشي أنه في بعض الأحيان ربما صلى بعض المالكية بالناس لتعذر غيره ممن هم أهل لذلك أو إنابته له فيصلي في هذه الحالة على هيئة الشافعي من الابتداء بالبسملة وقبض اليدين ورفعهما للركوع، وفي أول كل ركعة وتثنية التسليم جهراً أو تأخير القنوت عند الركوع والجهر به.

غير أن بعض أتباع المالكي اعترضوا على ذلك وطلبوا أن يصلي الصلاة على مذهبه أو يدع الإمامة. وكان العياشي كثيراً ما يحاول أن يخفف من اعتراض هؤلاء بقوله "قد علم من الشارع التحذير من الأمور التي توقع في المخالفة وتوغر الصدور خصوصاً في أمور الدين، فإذا فعل الإمام حيث اضطر إلى الائتمام به أموراً ينكرها المأموم له، فربما دخل في وعيد من أمّ قوماً وهم له كارهون، وهذا حيث لا ضرر له في الفعل والترك بأن يكون المتروك واجباً ولا المفعول مبطلاً، كبعض المستحبات وخلاف الأولى فيكون ذلك من باب تعارض مندوبين أو مكروهين اضطر إليهما فإن موافقة المأموم للإمام وعدم كراهيته له أمر مرغوب فيه مكروه خلافه"(٤٦).

وكانت العادة في صلاة الجمعة أن يأتي الخطيب ويجلس تجاه شباك النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يؤذن المؤذن للظهر في مأذنة المنارة، ويأتي المرقي(٤٧) للخطيب ويقرأ بأعلى صوته عدد من الآيات القرآنية من سور مختلفة يختتمها بقراءة سورة الفاتحة ثم يقوم الخطيب ويقرأ المرقي "والله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما"(٤٨) ثم يدخل الخطيب ويصعد المنبر ويبدأ بالخطبة(٤٩).

أما بشأن الآذان فكان للحرم خمس منارات يتراسل فيها المؤذنون في الأوقات الخمسة بالآذان والصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم(٥٠) ففي صلاة الفجر كان رئيس المؤذنين يأتي للحرم النبوي بعد الثلث الأخير من الليل فيفتح له الآغوات الباب ويصعد إلى المئذنة الرئيسية (الرايسية) ويشرع في الدعاء والذكر والصلاة على النبي(٥١). وبعد أن يسمع المؤذنون في

المنارات الأربع صوته بالصلاة على النبي يصعدون إليها فإذا أذن أذنوا وإذا فرغوا من الآذان يبتدئ رئيس المؤذنين بالصلاة والسلام على النبي فيتبعه الثاني فالثالث فالرابع، ثم يبتدئ الرئيس فيتبعه الباقون كذلك واحد بعد واحد على ثلاث مرات أو أربع مرات ثم يختتم ويختتمون بعده بالترتيب، ويستمر الأمر على هذا المنوال نحو ساعة[٥٢] ويذكر العياشي أن المصلين كانوا يتسابقون للصلاة في الصف الأول من الروضة الشريفة، وإذا أراد أي شخص ممن حجز له مكاناً أن يقوم للوضوء كان يترك فروته أو منديله، فيذهب للطهارة، بل إن بعضهم كان يدخل المسجد من غير طهارة ليسبق الآخرين في حجز مكان في الصف الأول، وربما يذهب إلى بيته أو إلى السوق ويترك غرضاً له في مكانه في الصف دون أن يجلس فيه أحد وقد أبدى العياشي استياءه من هذه العادة قائلاً: "وفي ذلك من الضرر على المصلين مالا يخفى على أن في دخولهم مزدحمين واستباقهم إلى الروضة ربما سمع لأقدامهم دوي من شدة العدو، سوء أدب لا يخفى ... فلا بد بتقييد ذلك بما لا يخل بأدب البقعة المطهرة وساكنها"[٥٣].

وقد أورد العياشي قصيدة تعرف ببائية ابن الخيمي[٥٤] كان ينشدها المؤذنون في الحرم النبوي في بعض الأوقات، وتتكون من خمسة وسبعين بيتاً، ووصفها بأنها "من الطراز العالي في الرقة والسلاسة، متضمنة لمعان شيّقة في الاستعطاف والتذلل والتشوق" وذكر أن المؤذنين كانوا يزيدون في آخرها عدداً من الأبيات، وهي على حد رأيه ليست من أصلها حيث اطلع عليها في بعض الدواوين ولم يجد فيها الأبيات المضافة[٥٥] ومما جاء فيها:

ما أن تقضي طلابي عن جنابك بـــــــــــــــــــــــــل ... يا مطلباً ليس لي في غيره أرب

من ذلـه بـالمعنى يحمـل الهـرب إليـــــــــــــــــــــــك ... آل التقصـــي وانتهـــى الطلـــب

ومـا طمحـت لمـرأى أو لمسـتمع ... يســتعذب الســمع أو يســتهدف الهـــــــــــــــــــــــرب[٥٦]

أما بشأن خطبة الجمعة فهي موزعة بين فقهاء المدينة لكل واحد مقدار معلوم من الأيام على قدر حصته التي يأخذها من رئيس الخطباء فمنهم مُقل ومنهم مُكثر وتكون عادة بالوراثة من

أسلافهم أو بطريق الشراء من الولاة وهو الغالب. فمنهم من تدور نوبته مرة في كل شهر، بينما لا يصل بعضهم إلا مرة واحدة في السنة[٥٧].

ويذكر العياشي بأن خطيب الجمعة كان يدعو في خطبته لثلاثة، فبعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والترضي على آله والخلفاء والصحابة يكون الدعاء للسلطان العثماني الذي كانوا يصفونه بملك البرين والبحرين والشامين والعراقين، وقد أبدى العياشي استياءه من المبالغة في تعظيم السلطان بأوصاف لا ينبغي أن يعظم بها أحد من الناس خاصة في حضرة الرسالة، ويرى لا يوجد أحسن ولا أجمل ولا أكمل من وصفه بخادم الحرمين الشريفين، أما الشخص الثاني الذي كان يُدعى له فهو شريف مكة زيد بن محسن[٥٨]، ويصفونه بحامي الحرمين الشريفين، وأخيراً كان يدعي لأمير المدينة المنورة والذي كان يوصف بحامي حمى المدينة وأميرها[٥٩].

٢) عادة الاحتفال بعيد المولد النبوي:

اعتاد المسلمون في كثير من البلدان الإسلامية الاحتفال بعيد المولد النبوي أو مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والذي يصادف ١٢ ربيع الأول من كل عام هجري، حيث يحييون هذه المناسبة لتذكر اليوم الذي جاء فيه أشرف الخلق والمرسلين.

لقد رصد الكثير من الرحالة ممن زاروا المدينة المنورة وتصادف وجودهم فيها خلال موسم العيد النبوي احتفال أهالي المدينة بهذه المناسبة الدينية وكان يتم التحضير لهذا اليوم مسبقاً في تنظيف الحرم وتزيينه وغسل مصابيحه " ،ويوضع فيها مائع شديد الحمرة وألقي فوقه قليل زيت طيب أخضر، فإذا توقد المصباح ظهر إشراق المصباح لشدة صفائه وأشرقت حمرة ذلك المائع لكونها ملاقية لصفاء الزجاج فتصير حمرته كحمرة الياقوت وكذلك الخط من الزيت فوقه أخضر كالزمرد وفوقه صفاء الزجاج يتموج فيه ضوء النهار" وينعكس فيه أزج إشراقة صفاء الزيت وخضرته، وصفاء المائع الأحمر وحمرته[٦٠].

ويفرش الحرم بفراش جديد لا يوجد له نظير كما يصف العياشي إلا في بيوت الملوك، ويؤتى بهذا الفراش من بلاد الهند، ويقول "ولقد رأيت سداً بعضها حريراً خالصاً وطعمها من جيد الصوف الملون الذي لا يكاد يفرق بينه وبين الحرير"[٦١].

وفي ليلة المولد النبوي توضع القناديل في صحن المسجد وفيه الشموع الغليظة الصافية اللون يزن بعضها نصف قنطار[٦٢] أو أكثر من ذلك، وفي وسط هذه القناديل قنديل كبير من الفضة الخالصة يبلغ وزنه أكثر من قنطار وفيه خمسة شمعدانات كبار من الفضة ذوات شكل دائري وفي كل شمعدانة شمعة، ويتم فرش البسط الرفيعة في جوانب القنديل تخصص لجلوس

الأمراء وأرباب المراتب والمنشدين. حيث يجلسون في هذه الأماكن بعد صلاة العشاء، كما تنصب خيمة بالقرب من باب النساء توضع فيها الأشربة الحلوة، ويبدأ المنشدون في نشيد قصائد المديح النبوي، ويأتي السقاؤون بمختلف أنواع الأشربة يوزعونها على الأمراء والمنشدون ومن معهم ثم سائر الناس، وبعد ذلك يؤتى بالرياحين والأزهار وأطباق من اللوز والسكر والحلوى، تفرّق أيضاً وعلى جميع الحضور، ويبدي العياشي شدة إعجابه من ذلك حتى وصف تلك الليلة بأنها من "الليالي الغر المسترخص شراؤها بباقي العمر لولا ما شانها من كثرة النساء في المسجد وآثارهن من الولاول إلا أن أكثرهن في مؤخرة المسجد"[٦٣].

٣) الاهتمام بنظافة المسجد النبوي وتكنيسه:

كان من بين عادات أهل المدينة وسلاطين الدولة العثمانية الاهتمام الكبير بنظافة الحرم النبوي وكنسه، إذ كانوا يتسابقون على شرف القيام بهذه الخدمة، وقد أناب السلاطين العثمانيون عنهم للقيام بهذه المهمة مشايخ الحرم الذين يكونون أول من يبدأ بتنظيف المسجد والحجرة الشريفة وكنسه وإضاءة القناديل، ثم يأتي بعد ذلك الخدم لإكمال تلك المهمة[٦٤].

وقد خصص يوم السابع عشر من ذي القعدة من كل سنة لكنس المسجد وعرف ذلك اليوم بيوم الكنيس، حيث يجتمع أهل المدينة منذ صلاة الفجر في المسجد النبوي بمختلف فئاتهم من العامة والأعيان والأكابر والأولاد الصغار والأطفال، ويخرج الآغوات خدام الحجرة الشريفة والمسجد النبوي ويقومون بنقل المصاحف والربعات من الروضة الشريفة إلى داخل الحجرة ويرفعوا البسط المفروشة في الحرم ويضعونها في المخازن، ويصعد شيخ الحرم وقاضي المدينة مع جماعة من الخدّام إلى سطح الحرم من درج بالقرب من باب النساء[٦٥] لكنس سطح الحرم وقبة النبي صلى الله عليه وسلم[٦٦]، وكانت المكانس التي يستخدمونها تصنع خصيصاً لهذه المناسبة، ويأخذون معهم إلى السطح الكعك والتمر واللوز والزبيب، وكان أولاد المدينة يجتمعون في الحرم ويرددون بأعلى أصواتهم "العادة يا سادة" فيرمون لهم من السطح ما معهم من الكعك والزبيب والتمر. وبعد ذلك ينزل من كان على السطح فيدخلون الحجرة الشريفة لكنسها ثم يجمعون الكناسة ويفرقونها بينهم ويهدونها إلى أصدقائهم في الآفاق، ثم يقرؤون الفاتحة عند شباك النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك يتفرقون ويخرجون من المسجد[٦٧] وقد وصف عبد الغني النابلسي الذي شاهد الاحتفال خلال وجوده بالحرم ذلك بقوله "وهذا اليوم عند أهل المدينة مثل يوم العيد يلبسون فيه أحسن ملابسهم ويهنئون بعضهم بعضاً ويستبشرون بقول الأولاد العادة يا سادة وأخبرونا أنهم سابقاً كانوا يقفلون الأسواق في هذا اليوم ولا يبقى أحد في المدينة إلا ويأتي

إلى الحرم الشريف لكنسه وخدمته" [٦٨]. وقد أنشد في ذلك عدد من الأبيات على قافية السين ومما قاله:

يا رعا الله حسن يوم الكنيس ... فيه قاموا بعناية التقديس

حضر الناس فيه وقت صباح ... حيث هم في التربع والتدليس

يخدمون المكان بالقلب منهم ... طاعة للإله بالتأسيس

وتضج الصغار فيه صياحاً ... عادة يا لسادة التأنيس

فسقى الله طيبة وحماها ... من جميع الخطوب والتنكيس[٦٩]

ومن الفئات الاجتماعية التي ارتبطت بالوظائف الخدماتية في المسجد النبوي فئة اجتماعية عُرفت باسم الأغوات[٧٠]، وهم من العبيد الذين تم وقفهم لخدمة المسجد النبوي الشريف والحجرة الشريفة، وكانوا كلهم من الطواشية الخصيان، وتعود بدايات نشأتهم إلى أواسط القرن الثاني عشر الهجري، إذ كان أول من رتبهم للخدمة نور الدين زنكي، وكان عددهم آنذاك اثني عشر شخصاً واشترط بأن يكونوا من حفظة القرآن، وجعل عليهم شيخاً منهم، ثم زادهم يوسف بن صلاح الدين الأيوبي اثني عشر آخرين، وأخذ عددهم بشكل تدريجي في الازدياد[٧١]. وكان معظمهم يأتون من بلاد السودان غير أن بعضهم يعودون إلى أصول أخرى بالنظر إلى ما كان يقوم به بعض الولاة بإهداء بعض الآغوات لخدمة المسجد النبوي[٧٢] . وقد تم اختيار وقف الخصي دون غيره "لكونه أطهر وأنزه وأكثر فراغاً في الاشتغال، إذ لا أهل له ولا ولد ، وهو أبعد من دنس الجنابة ومباشرة النساء"[٧٣].

كان جميع الآغوات باستثناء شيخ الحرم والنقيب ينامون في صحن المسجد، ولا ينام أحد في داره إلا لعذر كالمرض أو غيره[٧٤]. وتولوا مهام عديدة منها تنظيف المسجد وحفظة خلال النهار وحراسته ليلاً، والعمل على قفل أبوابه وتنزيل القناديل وتعليقها وغسلها ومسحها، والعمل على تأديب كل من يسيء الأدب داخل المسجد بلغط أو رفع صوت أو نوم حتى في القيلولة إلا

في مؤخرة المسجد، وإذا وجدوا شخصاً يمد رجليه نحو الحجرة كانوا يزجرونه[٧٥]. وكانوا بعد صلاة العشاء يقوموا بالدوران بالقناديل لتفقد من يخشى النوم في داخل المسجد، وكانوا يقومون بذلك بشكل منظم وذلك بأن يأتوا إلى الصف الأول حيث يقف بعضهم أول الصف ووسطة وآخره، فيخرجون كل من بداخله، ثم يتكلمون بكلمة ذكر بصوت مرتفع، فينقلون إلى الصف الذي يليه، ثم كذلك حتى لا يبقى أحد في المسجد، عندئذ يغلقون الأبواب ويطفئون القناديل باستثناء تلك الموجودة في الحجرة الشريفة[٧٦].

وبلغ عدد الأغوات أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر ثمانين شخصياً، غير أنهم كانوا ينقصون أو يزيدون قليلاً وذلك حسب كثرة الراغبين في الوقف وقلتهم، وينقسمون إلى قسمين، يبلغ عدد كل قسم أربعين شخصاً، فهناك الأربعون الكبار أو النظاميون ويعتمد هؤلاء في معيشتهم على ما يأتيهم من بيت المال وأوقاف المدينة والهدايا والصدقات من المسلمين. أما الأربعون الصغار فقد عرفوا باسم الأصاغر أو البطالين، ويستخدمون في الأشغال خارج الحرم النبوي من الأعمال الممتهنة، ولا يجلسون مع الكبار في دكة الأغوات[٧٧]. ويظهر أن عملهم كان محصوراً في خدمة الحرم ومنازل الآغوات الكبار[٧٨] وفي حال وفاة أحد الأربعين الكبار كان يدخل مكانه واحد من الصغار البطالين وتُعطى الولاية لشيخهم ويكون الترتيب في ذلك بالتقدم، فمن تقدم مجيئه يتقدم على من تأخر[٧٩].

ويُعد شيخ الحرم أكبر الآغوات رتبة، وكان يجري تعيينه من قِبل السلطات في استانبول لفترة تتراوح ما بين السنة إلى السنتين أو أكثر في بعض الأحيان[٨٠] وقد تمتع بمكانة هامة في المجتمع المديني، فكان له "كلمة نافذة في المدينة، تنفذ أحكامه، وتمضي تصرفاته في القوي والضعيف ويطأ عقبة الكبراء والأشراف"[٨١]. وكان يعقد كل يوم جمعة مجلساً في منزله يحضره عدد من المسؤولين كقائد الشرطة، ومفتو المذاهب الأربعة وعدد من أعيان المدينة لدراسة مشاكل المدينة وحلها[٨٢].

وخلال فترة رحلة العياشي ١٦٦١-١٦٦٣ كان من بين شيوخ الأغواتالآغا يحيى وهو من أوقاف الشيخ أبي حفص بن الشيخ عبد القادر المغربي وخلفه بعد وفاته الآغا مصطفى[٨٣]. ويلي شيخ الحرم النقيب ثم المتسلم الذي يتسلم الصدقات ويتولى قبضها وبيده أيضاً مفاتيح الحجرة الشريفة، ومخازن الزيت والشمع، بل كان بيده جميع ما يتصرف فيه الآغوات من مصالح المسجد النبوي وأوقافهم[٨٤]. ويلي المتسلم رئيس الخيالة، وكان من بين مهامه فتح أبواب الحجرة الشريفة لدى وصول وفود الحجاج للحرم النبوي[٨٥].

كان للآغوات نظام متقن وأحكام دقيقة، فكل واحد منهم له عمل محدد، وإذا مر أحد الأكابر بالصغار، فيقومون له احتراماً، وينطبق الأمر ذاته على الأكابر[٨٦]. ويذكر العياشي بأنه "لا يحكم فيهم سلطان ولا غيره، ولا يولّى عليهم ولا يعزل منهم إلا بأمر شيخهم، إنما يتوارثون بينهم، ومن وجبت عليه عقوبة أو أدب منهم أدبوه من غير أن تكون لأحد عليهم ولاية"، ويبدي العياشي استياءه من طريقة معاقبة المذنب عندهم داخل المسجد فيقول: "أنكرت منهم تأديب من لزمه الأدب من صغارهم في المسجد في بيت بإزاء دكتهم قريباً من الحجرة فيسمع صياحه وصوت الضرب كل من بإزاء الحجرة، فكنت أرى أن لو جعلوا لذلك محلاً بعيداً عن المسجد والحجرة الشريفة"[٨٧].

ومن العادات الأخرى في يوم الجمعة تكنيس المسجد النبوي، ويؤتى بأغطية من ديباج أسود مخوص بالذهب تعلق بأبواب المسجد، كما توضع على يمين المنبر ويساره رايتان سوداويتان من ديباج مخوص، ويطلع قبل الزوال بفترة قليلة المؤذنون على المآذن، فيبتدئ مؤذن المئذنة الرئيسة بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقراءة آيات من القرآن، فإذا فرغ يتلوه مؤذن السليمانية، ثم لا يزالون كذلك يتناوبون الذكر والصلاة وتلاوة القرآن حتى يخرج الإمام بأثر الزوال، فإذا قرب دخوله ينشد أحد المؤذنين ما شاء الله، وإذا رقي الإمامة يؤذن الجميع مرة واحدة داخل المسجد حيث يبدأ مؤذن المئذنة الرئيسة فيقول الله أكبر الله أكبر فيعيده الآخرون من بعده دفعة واحدة وهلم إلى آخر الآذان[٨٨].

العادات المرتبطة بالحجاج:

اعتادت مختلف قوافل الحجاج قبل التوجه إلى مكة أو بعد أداء فريضة الحج أن تزور المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقبور صحابته، والصلاة في مسجده، وكانت تقيم في المدينة بضعة أيام تتراوح ما بين ٣-١٠ أيام حسب القافلة، الأمر الذي من شأنه أن ينعش المدينة وأهلها من الناحية الاقتصادية ويذكر الرحالة بأنه خلال فترة الحج فلا يوجد أسعار محددة فلا "مكيال وافياً ولا ميزان صحيحاً كل يفعل ما يشاء ولا يتكلم الولاة في شيء في ذلك إلا أن يقع أمر مهم"[٨٩].

ويُعد الركب الشامي أكثر الأركاب التي يستفيد منها أهالي المدينة، إذ يمكث نحو عشرة أيام أو أكثر في المدينة بينما لا تطيل الأركاب الأخرى إقامتها إذا لا تزيد عن ثمانية أيام[٩٠] وتكون أسواق المدينة عامرة إذ "نصبت الأسواق واتسعت الأرزاق وقسمت الصدقات وكثرت الارتفاقات"، وكان الحجاج الشوام يجلبون معهم بضائع من الشام كالزيت والأطعمة والأشربة

ويبيعونها في أسواق المدينة[٩١]. أما حجاج الركب العراقي والذي يتضمن أيضاً الحجاج الإيرانيين، فقد بلغ عددهم خلال فترة وجود العياشي نحو ١٨٠٠ حاج، ويذكر العياشي أن أهل المدينة لا يستفيدون منهم اقتصادياً فيقول "ولم يكن فيهم نفع لأهل المدينة من بيع ولا شراء ولا صدقة "بل أنهم يلحقون الأذى والضرر بالزراعة "ولم يرتحل هؤلاء من المدينة حتى سئم أهل المدينة مقامهم وملّوا جوارهم مما أفسدوا بسرحهم من النخيل والبساتين، وكانت إبلهم ترعى بناحية الحرة الشرقية إلى قريب من أحد، فأفسدوا من صغار النخيل وضعيف الشجر كثيراً، وغلو الأسعار بالمدينة لنفاذ أزوادهم وعلوفاتهم"[٩٢].

ومن العادات المرتبطة بالحجاج المصريين خلال وجودهم في المدينة أنهم قبل رحيلهم عن المدينة بليلة واحدة كان أمراؤهم يجتمعون ليلاً مع أعيان المدينة في صحن المسجد النبوي ويوقدون الشموع على شمعدانات كبيرة من الفضة، ويحضر جماعة من المنشدين فينشدون القصائد في المديح النبوي، وينثر عليهم الحجاج المصريين اللوز والسكر والأزهار وبعض أنواع الحلوى[٩٣].

ويذكر العياشي أنه بالرغم من إقامتهم في المدينة ثلاثة أيام إلا أن المسجد النبوي طوال فترة وجودهم كان يعج بالفوضى والضجيج حتى لا يكاد يسمع فيه صوت قارئ، كما كانوا يكثرون من إيقاد الشموع أثناء الليل ويجتمع إليهم صبيان المدينة يقرؤون لهم موالد وقصائد في المديح النبوي مقابل أجرة، وكان الشمع الذي يوقدونه يسيح على الأرض فيجمعونه ويأخذونه معهم إلى مصر تبركاً به، ويصفهم العياشي بقوله "وبالجملة فعوام المصريين من أبعد الغوغاء عن إصابة الصواب لولا أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكدره الدلاء لكانوا جديرين بالمقت بسبب ما يحصل منهم من سوء الأدب وسيء الأقذار"[٩٤].

ومن بين العادات التي ارتبطت بالأركاب ما يعرف بأكرية الرواحل من القوافل الذاهبة من المدينة باتجاه مكة وينبع، فقد كان في المدينة أشخاصاً يعرفهم غالب الجمالين، فمن احتاج الكراء من أصحاب الدواب يأتي إليهم فيتفقون مع صاحب الدابة ويتكفلون بما قد يصدر من الجمال من مكر أو هروب في الطريق، ويعرف أحد هؤلاء الأشخاص باسم المخرج، إذ لا يعقد أحد كراء إلا ويحضره أحدهم، وغالباً ما كانوا يجلسون بالباب المصري، وكانوا يأخذون حلاوة من الجمّال ومن المكتري[٩٥].

وبعد مغادرة كافة الأركاب المدينة تعود الأمور إلى ما كانت عليه قبل دخولهم لها من تسعير في الأسواق وتصحيح المكاييل والأوزان والقيام بأعمال الفلاحة وغير ذلك من قراءة

وتدريس ومختلف أنواع العبادات. كما كان يتم تنظيف الحرم وفرشه بفراشة المعهود من الزرابي المبثوثة وتخرج الربائع التي فيها المصاحف العتيقة والأجزاء والحسان وقف الملوك والأمراء وتصف في قبلة المسجد، كما تفتح خزائن الكتب العلمية ويسمح للناس استعارة الكتب منها[٩٦].

ورصد الرحالة عدد من العادات الحميدة عند أهل المدينة المنورة كان أهمها اتصافهم بالأخلاق الحميدة وترحيبهم وحسن استقبالهم للأركاب القادمة إليهم وخروج الأهالي لاستقبالها وملاقاتها بالتعظيم والإجلال[٩٧] فقد وصفهم التبنوتي بالأدب والورع وحُسن المعاشرة وهم "أحسن أهل بلاد العرب على الإطلاق في مكارم الأخلاق". وأضاف بأن ذلك ليس بعجيب عنهم "فمجاورتهم للسيد الرسول أكسبتهم كثيراً من أخلاقه الكاملة، على أن من يفكر في أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما اختص أهل المدينة بالهجرة إلى بلدهم يحكم حكماً قطعياً بأن مكارم الأخلاق فيهم منذ زمن بعيد"[٩٨]. فكانوا يستقبلون الضيوف من خارج المدينة دون معرفة سابقة بهم، ويتسابقون في ضيافتهم في منازلهم ويجهزون لهم الفراش والطعام اللازم، ويقدمون لهم الخدمة بصدق وإخلاص[٩٩].

وذكر النابلسي بأن أهل المدينة اعتادوا أن تنصب كل جماعة منهم خيمة على طرف جبل سَلْع[١٠٠] لاستقبال الركب الشامي والمحفل الشريف وكان يشارك في الاستقبال أعيان المدينة وعلماؤها[١٠١]. أما الدرعي فقد ذكر بأنه لدى وصوله للمدينة كان في استقباله مفتي المدينة، وقد أخذه ومن كان برفقته إلى بستان فيه أشجار ومفارش "وأجلسنا هناك وسخن الماء وأتربه وأدخلنا إلى حمام واغتسلنا، وأحضر بخوراً وماء ورد وورد"[١٠٢].

لم يقتصر استقبال أهالي المدينة للأركاب عند قدومها بل كانوا أيضاً يخرجون لوداعها كباراً وصغاراً يدعون لهم بسلامة الوصول إلى بلادهم، بل ربما يظهرون في بعض الأحيان الحزن والبكاء عليهم إذا أحسوا بخطر قطاع الطرق عليهم[١٠٣].

الملبس والطعام

ومن العادات التي سجلها الرحالة في الملبس والمأكل عند أهل المدينة أنهم يتدثرون بالملابس الثقيلة في نهاية الخريف وانقضاء الحر حيث يلبسون الثياب الكثيفة التي تلبس خلال فصل الشتاء وأيام البرد الشديد، ويعللون ذلك بأن البرد الذي يأتي أواخر الخريف يفضي إلى فساد الأمزجة ويكون أكثر ضرراً من البرد الشديد الذي يكون في أواسط الشتاء، ويقولون أن الناس يلبسون "من غليظ الثياب في آخر الخريف مالا يلبسون في صميم الشتاء وشديد الزمهرير"[١٠٤]. وكان أهل المدينة على مر العصور يلبسون صيفاً ثياباً بيضاء تصنع في الغالب

من الكتان أو القطن، بينما كانوا يلبسون في فصل الشتاء الثياب الصوفية، واشتهر لديهم من أنواع الملابس التي كانوا يرتدونها العمامة والبردة وجبّة بيضاء من القطن تدعى قفطان(١٠٥). غير أن لباس أهل الميدنة تباين واختلف حسب المكانة الاجتماعية والوظيفية للشخص، فيصف العياشي لباس الأشراف بقوله: "ولباس الملك (الشريف) وأولاده وأبناء عمه وإن كان في غاية الرفعة واللطافة فإنه على زي لباس العرب في تعممهم، فيلبسون العمائم القصار ذوات الأهداب الطويلة، ويرسلون لها العذبة إلى قريب من ذراع، ويلبسون الدشوت(١٠٦) الرفيعة إلا أنها على هيئة دشوت الأعراب، ولا يلبسون الجوخ التي تلبسها العجم ولا الأقبية(١٠٧) التي على زيهم، ويلبسون النعال ذات السيور(١٠٨) على ظهر القدم دون السرجومة(١٠٩) التي تلبسها الأعاجم(١١٠). ويروي العياشي أن بعض علماء المدينة نهى عن لباس الصوف الرائق الذي يأتي من بلاد الروم منسوجاً وكان يتخذ منه الجوخات والأقبية الشبيهة بالحرير في لونه وصنعه ورطوبته، رغم أن بعض علماء مصر والشام كانوا يلبسونه، واعتبر أن الصلاة فيه باطلة بحجة أن أهالي البلاد التي يأتي منها كانوا ينتفونه عن الغنم وهي حيّة "وبذلك يصير في تلك الحال من الرطوبة والرقة، وإذا ثبت أنه كذلك فهو نجس"(١١١).

أما فيما يتعلق بالمأكل فيذكر العياشي بأن لهم ولع وغرام شديد بأكل اللحم ويزعمون بأنه يرطب الجسم فإذا أكلوا غيره "حصل لهم يبس في الطبيعة"، ولم تكن ربات المنازل يطبخن غذاء أو عشاء إلا وفيه لحم حتى لو أدى ذلك إلى بقائهم بدون أكل. وقد خصص بعضهم عبداً كانت مهمته فقط شراء اللحم والبحث عنه في أسواق المدينة والمناطق المجاورة لها في الوقت الذي يقل فيه، ولم يعد هذا العبد إلى سيّده حتى يجد مطلبه من اللحم فإذا وجده "كان ذلك شغله في ذلك اليوم ولا يستعمله في غيره لأنه تملكه بقصد ذلك"(١١٢). ولكن يبدو أن هذا الأمر اقتصر على الأغنياء من أهالي المدينة وأعيانها دون الفقراء إذ لم يكن بمقدور الفقراء آنذاك شراء اللحم يومياً واقتناء عبداً لهذا الغرض. ولا شك بأن أكل اللحم بهذه الطريقة لدليل على حالة الرفاهية والتي وصل إليها بعض أهالي المدينة المترفين والمتنعمين.

ووفقاً للعياشي، فقد كان من أكثر أنواع الأطعمة المعروفة عند أهل المدينة ما يعرف باسم الهريسة، ويصف طبخها بقوله "أن يجعل اللحم في المطبخ ويجعل معه القمح ويطبخ حتى يفارق اللحم العظم، فتزال العظام، ويبالغ في طبخ اللحم مع القمح حتى يطيب القمح ويترلع، فيأخذونه عصياً شبه المغارف عراض الرؤوس فيلوكون ذلك به حتى يختلط اللحم مع القمح ويصير مثل العجين، فيأخذونه في الأواني ويصبون عليه السمن". ويذكر بأن هذا النوع يُعد من

أشهر الأطعمة عند أهل الحجاز، وإذا أكلها الإنسان فلا يشتهي شيئاً من الطعام لمدة يوم وليلة[١١٣].

وبالنظر لوجود الأبار والعيون وإلى حد ما التربة البركانية الخصبة، فقد انتشرت في ضواحي المدينة الأراضي الخصبة والبساتين والمزارع والحدائق في المناطق المحيطة بالمدينة في بطون الأودية والقرى الزراعية وبخاصة العوالي والسافلة[١١٤] بالإضافة إلى منطقة نخيل إلى شرقي المدينة[١١٥]. ويُعد التمر من أكثر المحاصيل الزراعية شهرة في المدينة، فقد أحصى النابلسي أنواع التمور في المدينة فوجدها ١١٣ نوعاً، وكانت تمور المدينة من أحسن أنواع التمور في الجزيرة العربية، ومن بين أنواع التمور التي أوردها النابلسي الحلوي، وذكر بأن كل واحدة من هذا النوع "مثل الخيارة الصغيرة يقطر العسل منها وهذا يتهادونه ولا يكاد يباع في الأسواق"[١١٦].

ومن المحاصيل الأخرى التي أوردها الرحالة كانت الخضراوات والفواكه كالعنب والجزر والباقلاء والملوخية والبامية والبصل واللفت، وقد وصف الدرعي فواكه المدينة بأنها في غاية الجودة[١١٧].

وأشار كل من العياشي والدرعي إلى جلب الأعراب من خارج المدينة المنتجات الحيوانية كاللبن والسمن والجبن والغنم، وكان منهم جماعة تسكن في المدينة كوسطاء تجاريين أو ما يُعرف بالمغرب كما ذكر الرحالة البر غازين يشترون تلك المنتجات من الأعراب، واعتاد الأعراب على التعامل معهم دون غيرهم من أهل المدينة، ولو أراد أحد الشراء منهم كانوا يبيعونه السلعة بأسعار مضاعفة لا يشتري به البرغازون، غير أن الناس اعتادوا على الشراء من الوسطاء البرغازون وفضلوا التعامل معهم على الأعراب نظراً لجفائهم وغلظ طبائعهم[١١٨].

واعتمدت أسعار المحاصيل على الظروف الطبيعية، وبشكل خاص الأمطار، فكلما كانت الأمطار قليلة ارتفعت أسعار المحاصيل، غير أن سقوط الأمطار بغزارة وما يصحب ذلك من سيول جارفة تؤدي إلى جرف المزارع وتخريب التربة وتدمير المحاصيل الزراعية، مما يؤدي إلى ارتفاع أسعارها أيضاً[١١٩].

ويروي العياشي بأن أسعار المحاصيل الزراعية خلال فترة وجوده كانت مرتفعة فقد بلغ ثلاثة آصع[١٢٠] القمح بريال[١٢١]، بينما بلغ ثمن أربعة آصع التمر بريال، أما الشعير فكان يقل عن القمح قليلاً، وبلغ ثمن رطل[١٢٢] العسل ثلث ريال، أما الفواكه فكان ثمن رطل العنب ثلاث مائديات[١٢٣] ويذكر أنه رأى رمانة واحدة بيعت بخمس مائديات[١٢٤]. وخلال فترة وجود الدرعي

بالمدينة بلغ ثمن اثني عشر ربعياً[١٢٥] من الفول ديناراً وكان ثمن أحد عشر ربع شعير ديناراً بينما بلغ ثمن اثني عشر ربع دقيق ديناراً[١٢٦].

عادات الزواج

ومن العادات التي رصدها بعض الرحالة كانت عادات الزواج، فقد جرت العادة بأن يتم عقد النكاح في المسجد النبوي، فقد ميز الرحالة بين عقود نكاح أبناء الأغنياء وأبناء الفقراء ففي حالة أبناء الأغنياء كان يحضر أكابر المدينة وأعيانها من أصحاب المراتب والمناصب بالإضافة إلى خطيب الحرم، فيجلسون صفين من المنبر إلى الحجرة الشريفة، صف يستقبل القبلة وآخر مستند ظهره إلى جدار القبلة وإزاء الخطيب يجلس المتعاقدان (والد الابن ووالد البنت)، فيشرع الخطيب في الخطبة بحيث يثني على الله بما هو أهله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يذكر العقد ويشير إلى المتعاقدين فيرضيان بذلك، وبعد ذلك يحضرون أطباق الرياحين واللوز والسكر وتوضع بين الصفين فيفرق ذلك على الحضور، ثم يقوم المنشد وينشد قصيدة أو قصيدتين من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك يفترق المجلس ويقوم الحاضرون بتهنئة المتعاقدين[١٢٧]. وأبدى العياشي استياءه من هذه العادة بعد أن حضر عقد نكاح لهنديين من كبار تجار المدينة بقوله "وما كنت أحب حضور محافل أهل الدنيا المشوبة بأنواع من التصنع والمباهاة خصوصاً في ذلك المحل الذي حق الإنسان أن يخضع ويخشع، ويضع نفسه بالمحل الذي وضعها الله فيه من الذل والاحتقار"[١٢٨]. أما العقود التي تخص عامة الناس فتكون بسيطة وعلى حسب ما يتفق لهم[١٢٩].

وبشأن زفاف العريس، كانت العادة أن يتم زفافه إلى بيت العروس بعد أن يذهبوا بالعريس إلى المسجد النبوي ومعهم الشموع، فيقف على باب المسجد بعد العشاء فيدخل ويسلم على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يخرج باتجاه بيت العروس، وذلك على عكس عادات أهل المغرب كما ذكر الرحالة المغاربة فالزوجة عندهم هي التي تزف إلى زوجها ولكن "لكل قطر عادة ولكل قوم سادة، وعادات السادات سادات العادات"[١٣٠].

التنزه والاستجمام

أبدى أهالي المدينة المنورة اهتماماً واضحاً بالترويح عن النفس من خلال رحلات الاستجمام والتنزه في المناطق المحيطة بالمدينة، فبالنظر لوجود الأدوية والعيون والينابيع انتشرت حدائق النخيل وبساتين الفواكه والخضراوات، فقد أورد العياشي في رحلته ذكراً لسبعة آبار

انتشرت فيها الحدائق الجميلة والبرك، وذكر أن هذه الآبار السبعة ورد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم شرب أو توضأ منها، فغدت أماكن يقصدها أهالي المدينة لزيارتها والتنزه بها والاستشفاء بمائها، وقد أورد أسماء هذه الآبار ببيتين من الشعر قال فيهما:

إذا رمت آبار النبي بطيبة ... فعدتها سبع مقالاً بلا وهن

أريس وغرس رومه وبضاعة ... كذا بصة قل بيرحاء مع العهـــــــــــــن[١٣١]

وذكر بأن أهم هذه الآبار بئر أريس وتقع في حديقة غربي مسجد قباء، وماؤها غزيرة تسقى منها إلى بركة في الحديقة، واشتملت هذه الحديقة على أنواع مختلفة من الفواكه والأشجار، ومن أكثر أنواع الفواكه فيها كان العنب إذ قلما كما يذكر العياشي أن يأتي إليها أحد للزيارة خلال موسم العنب إلا ويشتريه، وقد اعتاد أهل المدينة لزيارة هذه الحديقة للاستراحة والتنزه[١٣٢]. ويقع بالقرب من بئر أريس عين ماء تعد من أغزر العيون وأحلاها ماء، إذ كانت تملأ منها الدوارق التي توضع بالحرم النبوي، وعرفت هذا العين بعين الزرقاء[١٣٣] وأنشد فيها بيت من الشعر قال فيه:

لئن قيل في زرق العيون ... فعندي أن اليُمن في عينها شـــــــــــــامة ... الزرقـــــــــــــاء[١٣٤]

وذكر النابلسي بأن أهل المدينة اعتادوا في اليوم الثاني لكنس الحرم النبوي الذهاب إلى حدائق النخيل للتنزه مع عائلاتهم يحملون معهم المأكل والمشرب حيث يجتمعون بمكان يعرف بالقرين ويقيموا فيه حتى العشاء، ووصف ذلك اليوم أنه يوماً عظيماً حيث يقومون بالذكر والنشيد والتوحيد[١٣٥].

وجرت العادة أيضاً التفسح في الأودية التي تسيل نتيجة تدفق الأمطار كوادي العقيق غربي المدينة ووداي بطحان في وسطها بالإضافة إلى وادي قناة، وذكر العياشي أن وادي العقيق يُعد من أغزر الآبار وأحلاها، كما أنه من أعظم المتنزهات عند أهل المدينة منذ القدم، وقد قيل فيه الكثير من الأشعار، وقد حضر سيل هذا الوادي ثلاث مرات، فيخرج الناس بمختلف

فئاتهم وينصبون الخيام على حافتيه وهم يطبخون ويلهون مع أسرهم، وعادة ما كانوا يقيمون هناك يوماً أو يومين، ووصفه بقوله:

جرى العقيق ودمعي كالعقيق جرى — فلا تسل سائلي عما هناك جرى

الوجد أورى زناداً في الحشا فصلى — به الفؤاد فسال الدمع مبتدراً

اذكرني جريه جري السوابق في — بين الكشائب في الميدان معتجرا

وظله والنسيم في جوانبه — أكربني فسرى الأحزان حين سرى

اذكرني زمناً عند الذين بهم — أفاخر الشهب في وسط الدجا سحرا

وقال أيضاً:

سال العقيق ودمعي — سال كمثل العقيق

وسيله كالرحيق — وادمعي كالحريق

فلا تلم يا عدولي — ولتسعدن يا رفيق[١٣٦]

أما واد البطحان فيتوسط بيوت المدينة، وتقع معظم دور الأنصار على حافتيه شرقاً وغرباً، وعلى حافتيه "منازل كثيرة لأهل المدينة قد جعلت لهم بشبابيك ومجالس إلى ناحية الوادي، وقلما يخلو أعلاه من ماء يسيل به يقوي إذا كثرت الأمطار ويقل إذا قلت"[١٣٧]. أما وادي قناة فهو من أعظم الأودية سيلاً، ويسمى أيضاً بوادي الشظاة، وكان عندما يسيل يخرج أهل المدينة للتنزه حوله لمدة أسبوع أو أكثر[١٣٨].

المرأة المدينية:

كان من بين الأمور التي لفتت انتباه الرحالة بعض العادات المتعلقة بنساء المدينة، وقد أبدوا استياءهم وانتقادهم لتلك العادات المذمومة التي كثيراً ما تكون مكلفة لرب الأسرة، فيذكر العياشي أنه كان لدى نساء المدينة عادة تعرف بالشخشخة وهو ما تشتري به المرأة ما تشتهيه من الأزهار وقد تصل قيمة المصاريف اليومية لهذه العادة ريالاً[١٣٩]. وذكر بأن هناك عادة مذمومة لنساء المدينة إذ يخرجن إلى التنزه والتفرج في البساتين والأماكن المنفسحة، وكثيراً ما كانت المرأة تكلف زوجها بهذه المناسبة نفقة أكثر من طاقته[١٤٠].

وذكر بأن بعض نساء المدينة كن يبالغن في الستر الظاهر بحيث لا يبدو من المرأة ولا مغرز إبرة حتى من أطرافها، كما يبالغن في الطيب والعطور حتى تشتم رائحته من مسافة طويلة، وبذلك يكن ما سترنه ظاهراً أبدينه باطناً، وبهذا فسر بعض العلماء قول الرسول صلى الله عليه وسلم "رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة"[١٤١] فإن اكتست في الظاهر إلا أنها في الحقيقة عارية لأن حقيقة التعري إبداء ما حقه أن يخفى، كما أن التستر إخفاء ما لا ينبغي أن يظهر، ولذلك فإن عطر المرأة يُعد من أعظم زينتها وألذ ما يشتهى منها، وقد أمرت بإخفاء ما هذا سبيله من أوصافها، فإذا ظهر منها ذلك تُعد عارية وإن اكتست فإنه "من العورات ما لا تواريه الكسوة ولا يواريه إلى تركه رأساً أو الخلوة. وكذلك فإن عطرها لا يواريه إلا تركه، ولذلك جاز لها الطيب المؤنث وهو ما ظهر لونه وخفي ريحه لأن اللون تستره الثياب بخلاف الريح فلا يستره إلا الترك رأساً أو عدم الخروج"[١٤٢].

ومن العادات المذمومة الأخرى للنساء الخروج إلى الأسواق عند قدوم الركب الشامي، إذ لا تبقى مخدرة من النساء شريفة كانت أو وضيعة إلّا وخرجت تباشر البيع والشراء، وكان لهن على أزواجهن أتاوة يدفعونها لهن لشراء ما يرغبن بشرائه. ويذكر العياشي أنه الواحدة منهن ربما لا تقتنع بخمسين ديناراً من زوجها وإنما تريد أكثر من ذلك، ويروي قصة امرأة أحد المدرسين

بالحرم النبوي إذ طلبت منه أن تخرج إلى السوق فأعطاها عشرة دنانير ذهباً، فما كان منها إلا وأن ألقت بذلك في المرحاض وخاطبته قائلة: أمثلي يخرج إلى السوق بهذا المقدار؟ فلم يملك من أمره إلا وإن ذهب واستدان خمسين ديناراً ليعطيها إليها، وعلّق العياشي على ذلك بالقول "وهذه حسرة عظيمة وذل للرجال الذين جعلهم الله قوامين على النساء"(١٤٣).

عادات وتقاليد أخرى

ومن العادات الأخرى التي رصدها الرحالة لأهل المدينة زيارة قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم كل يوم خميس، وكان بعضهم ينامون ليلة الخميس في أغلب الأحوال(١٤٤). ولم يجد أي من الرحالة سبباً لاختيار يوم الخميس لهذه الزيارة، إلا أن يكون "ما ورد من أن الأموات يعلمون بزائرهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده. فلما كان يوم الجمعة يضيق المشي فيه بسبب الاشتغال بمقدمات الصلاة وزيارة البقيع، ويوم السبت لزيارة قباء، لم يسبق إلا يوم الخميس"(١٤٥).

وكان لأهل المدينة موسم في الثاني عشر من شهر رجب يعرف بيوم الرجيبة يحتفلون فيه بزيارة قبر حمزة رضي الله عنه وقبور شهداء أحد رضوان الله عليهم، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يزور شهداء أحد ويسلم عليهم(١٤٦) ويقرأ هناك الآية القرآنية "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا"(١٤٧). فمنذ أوائل شهر رجب تأتي الوفود من أقطار الحجاز واليمن والطائف ونجد وينبع، بينما يخرج أهل المدينة ابتداءً من يومي الخامس والسادس من الشهر نفسه، ويمكثون هناك لمدة ستة أيام، ولم يبق في المدينة إلا القليل، إذ كانوا يخرجون مع أسرهم وينصبون الخيام، كما كان يخرج أمراء المدينة وعساكرهم، فينصبون الخيام والمضارب والأسواق، ويقومون بمختلف أنواع اللهو والطرب واللعب والرمي بالمدفع والمحاريق، ويوقدون الشمع، وكان هناك بعض الأشخاص يتولون القراءة حول القبر بحيث يجتمع المقرؤون ويبدأ أحدهم بقراءة جزء ويستمع الآخرون، فإذا فرغ من حزبه أخذ الذي يليه في القراءة(١٤٨).

ورصد الرحالة بعض العادات لأهل المدينة يوم الجمعة، فيذكر الدرعي بأنهم كانوا يخرجون يوم الجمعة للبقيع ليضعوا الرياحين على القبور، وتتجمع منها كميات كبيرة يؤتى بها إلى الحجرة الشريفة تلقى فيها من الشبابيك، وتبقى حتى تذبل وتكنس يوم كنيس الحجرة حيث يتقاسمها الآغوات بينهم مع باقي الشمع وما يتساقط من الطيب ويهدونه لأصحابهم كما يبعث بعضه الأكابر كهدية لأصدقائهم(١٤٩).

واعتادوا أيضاً في يوم الجمعة أن يجتمعوا بعد صلاة العشاء في آخر أروقة الحرم، فيأتي جماعة من المنشدين فينشد كل واحد منهم قصيدة أو قصيدتين بصوت رخيم وتطريب، ولهم أتباع يردون عليهم(١٥٠).

ولاحظ الرحالة أن العطلة الأسبوعية للتدريس في الحرم والمكاتب في المدينة تكون يومي الثلاثاء والجمعة حيث يتوقف المدرسون عن القراءة والتدريس، وذلك على خلاف أهل المغرب، فالعطلة عندهم يوما الخميس والجمعة(١٥١). فيروي العياشي بأنهم كانوا يكلفونه في الحرم بالقراءة يوم الخميس، ولما لم يكن معتاداً على ذلك، فقد شق عليه الأمر فحاول أن يقنعهم أن يعوضوا يوم الخميس بيوم الثلاثاء، إلا أنهم رفضوا ذلك مما اضطره بأن يسير حسب عاداتهم، واستشهد ببيت الشعر التالي:

إن جئت أرضاً أهلها عور فغمض عينك
كلهم الواحدة(١٥٢)

ومن عاداتهم أيضاً تقديم التهاني الشهرية في اليوم الأول من كل شهر من جميع شهور السنة بحيث يذهب كل واحد إلى من له حق ولاية أو شيخوخة أو صحبة(١٥٣) وأنشد العياشي بهذه المناسبة عدد من الأبيات الشعرية فمما قاله:

إن لأهله في السماء بطلوعها تتحصد
مناجل الأعمار

أبدا يهني بعضنا بعضا وطلوعها بأفولنا
بها إنذار(١٥٤)

أما فيما يتعلق بصلاة الجنازة ، فكان من عادة أهل المدينة إدخال الجنازة إلى الحرم الشريف للصلاة عليها، ثم يمر بها أمام الوجه الشريف ويوقف بها لمدة قليلة، وعادة ما كانوا يدخلون الجنازة من باب الرحمة(١٥٥)ويخرجون بها من باب جبريل(١٥٦) إلى مقبرة البقيع(١٥٧) أو غيرها، وأثناء الدفن يقومون بالتكبير والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك يقف أهل المتوفى على باب المقبرة لتقبل التعازي ويذكر التبنوتي بأن عادة العزاء هذه قديمة من يوم وفاة الحسين بن علي(١٥٨).

الرشـوة:

يُعد الفساد الإداري وانتشار ظاهرة الرشوة في المناصب الدينية والإدارية في مختلف مؤسسات الدولة دليلاً على ضعف الدولة وترهلها. وقد رصد الرحالة وبشكل خاص انتشار هذا المرض في المجتمع المديني الذي يفترض أن يكون أكثر المجتمعات بُعداً على هذه الظاهرة لما للمدينة المنورة من مكانة دينية هامة في العقيدة الإسلامية.

لقد غدت المناصب الدينية الهامة كالإمامة والخطابة والآذان والقضاء والفتوى في المدينة تُباع وتُشترى من الولاة، بل طال الأمر حتى بعض الوظائف الخدماتية كوقيد المساجد، وفي حالة وفاة صاحب أي من هذه الوظائف أو عزله يدفع الراغب في توليها رشوة لأولي الأمر من الولاة ليولونه عليها سواء أكان لديه الكفاءة في القيام بها أم لا. وكانت مؤسسة القضاء من أكثر المناصب عرضة للفساد والرشوة، فقد كان بعض القضاة على حد زعم العياشي ينقضون الحكم في اليوم الواحد أكثر من مرة وذلك حسب قيمة الرشوة المدفوعة للقاضي من أطراف القضية[١٥٩].

ويستغرب العياشي أن بعض الفقهاء في المدينة المنورة كانوا يثنون على هؤلاء القضاة كالشيخ عبد الله باعفيف اليمني الذي كان يثني على قاضي المدينة المعروف بالقاضي مكي ثناءً حسنا، وزعم بأنه من أصحاب الشيخ محمد باعلوي اليمني المكي وهو الذي أمره بتولية أمر القضاء في المدينة رغم محاولة ذلك القاضي بالتنصل من هذه الوظيفة، ويعلق العياشي على ذلك بقوله "وغالب الناس بالمدينة على خلاف مدعى صاحبنا هذا في هذا القاضي"[١٦٠].

ويروي العياشي مصير أحد القضاة واسمه زفر[١٦١] ممن قدموا من استانبول وحاول تطبيق أحكام الشريعة وإظهار العدل ومنعهم من الباطل والظلم حتى وصل الأمر في تطبيق هذه الأحكام على الشريف زيد إذ حال بينه وبين كثير من تصرفاته وأعماله المخالفة للشرع، الأمر الذي دفع الشريف لإحاكة المؤامرة على هذا القاضي والتخلص منه، فقد حضر إلى المدينة وأخذ بالتآمر على القاضي حتى تم اغتياله على باب المسجد النبوي وهو ذاهب لصلاة الفجر. ويعلق العياشي على ذلك بالقول "وقد أظهر السلطان زيد التأسف على موته وأظهر التفتيش على الضارب وزعم أنه لا علم له به ولو علمه لنكل به وقتله والخاصة من الناس لم يصدقوه في ذلك وعلموا أنه لا يقدر أحد على الجرأة إلا بإذنه وأنه لا يخفى عليه فاعله لشدة حزمه وعظيم مكره، حتى أنه لا يكاد يخفى عليه سارق شمله بأرض الحجاز كلها فكيف يخفى عليه مثل هذا؟[١٦٢]

أدت هذه الحادثة إلى انتشار الفوضى في المدينة فتجمع جنودها وأغلقوا أبوابها وتوزعوا على محيط المدينة وأسوارها ونصبوا مدافعهم ضد الشريف وهم يصرخون مطالبينه بالانصراف عن المدينة ووجهوا له الشتائم، وأمام هذه الاحتجاجات اضطر الشريف زيد إلى استخدام الحيلة والخروج من أحد أبواب المدينة بعد أن عين قاضياً آخر. وأمر فيما بعد باستدعاء رؤساء الجند بحجة التحقيق في اغتيال القاضي، ولدى حضورهم أمر باعتقالهم، غير أنه عفى عنهم بعد أن طلب بعضهم العفو منه، بينما توسط أمير قافلة الحج المصري لبعضهم(١٦٣).

ومما لاحظه الرحالة لدى بعض الناس في الحجاز بشكل عام جهلهم بالدين وانتشار البدع والخرافات، فيروي العياشي نقلاً عن بعض من أخبره من الناس في الحجاز أن بعض المناطق البعيدة عن مكة والمدينة لا تعرف في الدين إلا القليل فقد سأل بعضهم فيما إذا صام أم لا؟ وكان رجلاً كبيراً في السن فأجابه: إني إلى الآن لم أصم، لكن أبي صام ثلاثة أيام، ولما أستفهمه عن ذلك قال له: إن الرجل عندنا إذا قارب أوان الهرم والشيخوخة صام ثلاثة أيام، فيقولون فلان صام، وذلك دلالة بلوغه حد الكِبر، وأما قبل ذلك فلا يعرف صياماً ولا غيره "وهم جديرون بذلك لبعدهم عن الأمصار وقلة القرى في بلادهم، فلا يجدون أحداً يعلمهم الخير ولا يرشدهم إليه ولو رآهم أكبر فقهاء الأمصار يصلون الصلاة المتقدمة من تتابع السجدات لا يزيد على أن يضحك منهم، أو يتغافل ويذهب عنهم(١٦٤).

ويقارن العياشي بين بعض المناطق في الجزيرة العربية من جهة والمغرب من جهة أخرى، ليستنتج وجود فارق كبير بين المكانين في معرفة أحكام الشريعة الإسلامية، فمن المفروض أن يكون أهل الجزيرة وبخاصة الحجاز أكثر علماً ومعرفة بأحكام الدين مقارنة بغيرهم من المسلمين ليس في المغرب فقط بل وفي كل المناطق الأخرى بالنظر لاحتضان الحجاز أعظم مدينتين إسلاميتين هما مكة والمدينة، إلا أن ذلك كان عكس توقعات العياشي فيقول "وبالجملة فعرب الحجاز وتهامه ونجد أجهل العرب وأكثرهم جفاء قلما تجد أحدهم يحسن شيئاً من رسوم الشريعة الظاهرة وصلاة وصيام إلا القليل، وعوام الأعراب والبربر بمغربنا بالنسبة إلى هؤلاء فقهاء، فلا تجد عامياً بالمغرب، وإن بلغ الغاية في الجفاء، إلا وهو يعلم أن الصلاة ذات ركوع وسجود، وإن كان لا يحسن أن يقرأ فيها، ويعلم وجود صوم رمضان، بل هو أشد عندهم من الصلاة"(١٦٥).

وذكر العياشي بأنه التقى مع رجل بينبع(١٦٦) ظهر الشيب في مفرقه وسأله عن مكة فأجابه، ما حججت قط" بالرغم من أن بينه وبين مكة ثمانية مراحل، وسأله العياشي عن المدينة

فأجابه بأنه دخلها مرتين أو ثلاث مرات وبينه وبينها ثلاث مراحل ويعلق العياشي على ذلك بقوله "وأمثال هؤلاء كثيرون"(١٦٧).

ويروي العياشي على لسان الملا إبراهيم الكوراني(١٦٨) بأن شيخه القشاشي(١٦٩) روى له بأنه شاهد أحد الأعراب أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وبيده عصا، فضرب العصا في الأرض مرتين وهو يقول: يا محمد يا محمد لا تقل أنا ما جئتك ها أنا ذا، فذهب الأعرابي ولم يزد على ذلك، وقد قال الشيخ القشاشي "عسى أن يكون ذلك نافعاً له عند الله فإن ذلك مبلغ علمه ولو كان يرى أن أكثر من ذلك ينفعه ويقضي به حق تعظيمه لفعله"(١٧٠).

وذكر العياشي أيضاً بأن أحد المجاورين روى له أنه وجد بالحرم في بعض المواسم رجلاً وامرأة، وتمت حالتهما إلى المحكمة فتبين بأنهما زوجين، ولما سُئل الرجل "ما حملك على ما فعلت؟ فقال أنه لا ولد لنا فرجوت أن تحمل المرأة ببركة هذا الحرم" وقد عذر على ذلك بسبب جهله ولم يعاقب"(١٧١).

الخاتمة

يبدو واضحاً في خاتمة هذه الدراسة أن أدب الرحلة يشكل مصدراً مهماً وأساسياً بل يعد من أوثق المصادر وأكثرها دقة وصدقاً لمختلف أنواع الموروث الثقافي من عادات وتقاليد وأعراف ومعالم دينية مختلفة ، وذلك بالنظر لاعتماد الرحالة بشكل أساسي على المشاهدة العينية والتصوير المباشر كمصدر هام في إستقاء معلوماتهم مما يجعل من أدب الرحلة باعتباره جنساً أدبياً وثيقة اجتماعية وثقافية بل سجلاً حقيقياً لمختلف المعلومات ، فالمشاهدة العينية أكثر دقة وتعبيراً عن الواقع الاجتماعي بالمقارنة مع المصادر الأخرى .

لقد حفلت الرحلات الثلاث السابقة بمعلومات قيّمة وغنية عن مختلف الجوانب الاجتماعية مما لا تتوفر في المصادر المختلفة تاريخية كانت أو جغرافية أو غير ذلك من المصادر الأخرى ، فأعطت صوراً واقعية لكثير من مظاهر الموروث الثقافي التي كانت سائدة في مجتمع المدينة المنورة ، وقد عكس بعضها المكانة الحضارية للمجتمع المديني لا سيما العادات المرتبطة بالحفلات والمواسم والتنزه والاستجمام ، ولا شك أن احتكاك أهل المدينة بتيارات حضارية مختلفة من حجاج ومجاورين وعلماء وفقهاء بالإضافة إلى طبيعة المجتمع المديني كان له الأثر الأكبر في انفتاح مجتمع المدينة المنورة وتحضره وإن ظهرت هناك بعض العادات المذمومة لا سيما تلك المتعلقة بالمرأة المدينية .

الهوامش والمصادر

[١]القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآيات ١٦٩-١٧٣.

[٢]محمد علي فهيم بيومي، المغاربة في المدينة المنورة إبّان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، القاهرة: دار القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٣-١٤.

[٣]عواطف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٦، ص٢٦.

[٤]بيومي، المغاربة في المدينة، ص١٥.

[٥]حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، سلسلة رقم ١٣٨، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٩، ص١٥.

[٦]نواب، كتب الرحلات، ص١٩.

[٧]أبي سالم العياشي، اقتضاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، تحقيق نفيسه الذهبي، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٦، ص٢٨. محمد امحزون، المدينة المنورة في رحلة العياشي، الكويت: دار الأرقم للنشر والتوزيع، ١٩٨٨، ص٤٧.

[٨]العياشي، اقتضاء الأثر، ص٢١. أمحزون، المدينة المنورة، ص٤٨.

[٩]العياشي، اقتضاء الأثر، ص٣١-٣٤. محمد ماكامان، الرحلات المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة الموافق للقرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد، الرباط: مطبعة الأمنية، ٢٠١٤، ص٢٠٠.

[١٠]أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، ٢ج، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ج١، ص٣٦٥.

[١١]عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد الهريدي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص٣ من المخطوط.

[١٢]**الطريقة النقشبندية:** وتُنسب لشاه نقشبند الهندي في القرن الرابع عشر الميلادي. تمتاز بطريقة خاصة في الذكر، كما أنها عارضت فكرة وحدة الوجود بفكرة وحدة الشهود أي أن الوحدة ليست حقيقية وإنما تبدو كذلك. عبد الغني النابلسي، الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، تحقيق أكرم العلبي، بيروت: دار صادر، ١٩٩٠، ص١٧ (مقدمة المحقق). كامل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية،١٩٨١، ص٣١١.

[١٣]**الطريقة القادرية:** أسسها عبد القادر الجيلاني في القرن السادس الهجري، ويُعد من أبرز أقطاب الصوفية، ولد بجيلان في إيران وتوفي في بغداد. العسلي، معاهد العلم، ص٣١١.

[١٤]محمد خليل بن علي المرادي أبو الفضل، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أربعة أجزاء، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٨، ج٣، ص٣٣. كامل العسلي، بيت المقدس في أدب الرحلات، عمان ، ١٩٩٢ ، ص١٠١.

[١٥]المرادي، سلك الدرر، ج٣، ص٣١. النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص٩.

[١٦]العسلي، بيت المقدس، ص١٠١.

[١٧]النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص٣٣٤.

(١٨)المصدر نفسه، ص٤٣٦.

(١٩)المصدر نفسه، ص٣.

(٢٠)عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢، ج١، ص٦٧٩.

(٢١)صحيفة القدس العربي الأسبوعي، السنة السابعة والعشرون، العدد ٨١٥٦، ٥ تموز ٢٠١٥م، ص١.

(٢٢)أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية ١٧٠٩-١٧١٠، تحقيق عبد الحفيظ ملوكي، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص٢٢.

(٢٣)تأسس الزاوية الناصرية على يد الشيخ عمرو بن أحمد الأنصاري سنة ١٥٧٥م في قرية تمكروت، وارتبط اسمها باسمه ثم دعيت بالزاوية الحسينية نسبة إلى الشيخ عبد الله بن حسين السرقي الذي خلف الشيخ المؤسس قبل أن تسمى من جديد بالناصرية بتولية محمد بن ناصر شؤونها. صحيفة القدس العربي الأسبوعي، العدد السابق، ص١.

(٢٤)محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ٤ أجزاء، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٨٢، ج٢، ص٢١١. محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الإفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي، ٢٠٠٤، ص٣٦٥.

(٢٥)القادري، نشر المثاني، ج٣، ص٢٣٤

(٢٦)الإفراني، صفوة من انتشر، ص٣٦٤.

(٢٧)الرحلة الناصرية، ص٢٧.

(٢٨)الرحلة الناصرية، ص٢٨. الإفراني، صفوة من انتشر، ص٣٦٥.

(٢٩) الرحلة الناصرية ، ص٣٥. الكتاني، فهرس الفهارس، ص٦٧٩.

(٣٠)الرحلة الناصرية، ص٣٤.

(٣١) المصدر نفسه ، ص٢٧.

(٣٢)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٥٦-٤٥٧.

(٣٣)**الجامكية**: وهي كلمة فارسية من جامة ومعناها اللباس. أما اصطلاحاً فهي الجراية الشهرية (المرتب) الذي يُعطى من غلة الأوقاف لأصحاب الوظائف. أحمد السعيد سلمان، تأهيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، القاهرة، ١٩٧٩، ص٩٥. محمد عميم الإحسان المجدديالبركتي، التعريفات الفقهية ومعجم يشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والأصوليين وغيرهم من علماء الدين، بيروت: دار العلمية، ٢٠٠٣، ص٦٨.

(٣٤)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٥٦.

(٣٥)المصدر نفسه، ج١، ص٤٥٧.

(٣٦)**أبو عيسى الثعالبي**: وهو فقيه ومحدث من الجزائر، ولد سنة ١٠٢٠هـ/١٦١١م. له فهرسة سماها كنز الرواة ورتبها على أسماء شيوخه حيث يبدأ بالتعريف بشيخه وذكر مؤلفاته وأسماء شيوخه ثم يذكر كل كتاب قرأه عليه.

توفي سنة ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م. الأفراني، صفوة من انتشر، ص٢٨٣-٢٨٥. الكتاني، فهرس الفهارس، ج١، ص٨٠٦-٨٠٨. الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤٦.

(٣٧)امحزون، المدينة المنورة، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٣٨)**محمد سليمان الروداني:** وهو أبو عبد الله محمد بن سليمان ولد سنة ١٠٣٧هـ/١٦٢٧م بتارودانت ببلاد المغرب ونشأ فيها، ثم ارتحل إلى سجلماسة ومراكش ففاس ثم عاد إلى بلده، غير أنه ارتحل فيما بعد مرة ثانية إلى مراكش ومنها إلى الجزائر ثم إلى المدينة المنورة حيث أقام فيها منعزلاً عن الناس لا يخرج إلا ليلاً. وقد عمل الروداني بمهن عديدة كالصياغة وتسفير الكتب والخرازة وتجبير الزجاج وابتدع آلة في علمي التوقيت والهيئة. توفي في مدينة دمشق عام ١٠٩٥هـ/١٦٨٤م. الرحلة الناصرية، ص٤٢١-٤٣٧. المحبي، خلاصة الأثر، ج٤، ص٢٠٤. الأفراني، صفوة من انتشر، ص٣٣١-٣٣٣. الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٣-٥٣.

(٣٩)الرحلة العياشية، ج٢، ص٥٠.

(٤٠)**المساقي:** من المساقاة وهي عبارة عن اتفاق بين صاحب الأرض والفلاح على استثمار الشجر بحيث يكون الشجر من صاحب الأرض والعمل من الفلاح. يعرف بالمساقي حيث يتعهد بالقيام بكافة المستلزمات التي يحتاج إليها الشجر من حرث وتسميد وري وتقليم ورعاية وجني الثمار مقابل حصة معينة من الثمر أو الشجر. انظر: مالك بن أنس، الموطأ، ٢ج، تحقيق فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ١٩٥١، ج٢، ص٧٠٥. سليم رستم باز اللبناني، شرح المجلة، ٢ج، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ج٢، ص٧٦٥.

(٤١)الرحلة العياشية ،ج٢، ص٥٢.

(٤٢)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤٢. الرحلة الناصرية، ص٥٣٨.

(٤٣)أول من صنع المحراب الموجود مكان مصلى النبي صلى الله عليه وسلم الوالي عمر بن عبد العزيز عام ٩١هـ/٧١٠م. إمام، المدينة المنورة، ص٢٦.

(٤٤)**المحراب العثماني:** وهو موضع مصلى عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد توسعة المسجد في عهده. محيي الدين إمام، المدينة المنورة معالم وأحداث ، بلقاس ، ٢٠٠٠ ، ص٢٧.

(٤٥)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤٢. الرحلة الناصرية، ص٥٣٩. النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص٣٤٥.

(٤٦)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤٢-٤٤٣.

(٤٧)**المرقي:** وهو الذي يتولى الترقية للخطيب، ومهمته تذكير الخطيب بموعد وقت الخطبة، ويمتاز بصوت جهوري، وقد تم استحداث هذه الوظيفة في بداية الأمر نظراً لوجود المنبر وسط المسجد وصعوبة الوصول إليه دون مساعدة لا سيما أيام المواسم الكبيرة. الشهري، المسجد النبوي، ص٤١٦.

(٤٨)سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

(٤٩)النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص٣٤٥.

(٥٠)المصدر نفسه، ص٣٤٥.

(٥١)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٦١. النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص٣٤٥. وتقع المئذنة (المنارة) الرئيسية في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد وكانت قد تهدمت إثر حريق نتج عن إصابة صاعقة لأعلى المنارة الرئيسية. وأعاد بناءها السلطان المملوكي الأشرف قايتباي عام ٨٩٢هـ/١٤٨٦م. محمد هزاع الشهري، المسجد النبوي

الشريف في العصر العثماني ٩٢٣- ١٣٤٤هـ القاهرة : دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠٣ ، ص١٠. إمام، المدينة المنورة، ص٢٢.

(٥٢)النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص٣٤٥.

(٥٣)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٦١.

(٥٤)شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري اليمني، يمني الأصل، مصري المولد والنشأة، شافعي صوفي، ولد سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م، وتوفي سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٦م. لمزيد من التفاصيل حول حياته وديوانه، انظر: شادي إبراهيم حسن عمرو، ديوان شهاب الدين بن الخيمي ٦٠٢-٦٨٥هـ- دراسة وتحقيق، الخليل: جامعة الخليل، ٢٠٠٥.

(٥٥)الرحلة العياشية، ج٢، ص٣٩٥.

(٥٦)وحول العقيدة بأكملها انظر: الرحلة العياشية، ج٢، ص٣٩٥-٣٩٩.

(٥٧)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤٠.

(٥٨)الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمر وُلد في مكة سنة ١٠١٤هـ/١٦٠٥م، نشأ تحت رعاية أبيه، وهرب معه إلى اليمن ثم عاد إلى الحجاز بعد وفاة أبيه في صنعاء عام ١٠٣٨هـ/١٦٢٩م. وتولى منصب الشرافة في مكة سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م، فوستفيلد، أشراف مكة، ص٦٦، ص٨٢-٨٣. اسماعيل حقي أوزون جارشلي، أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمة خليل مراد، البصرة: جامعة البصرة – مركز دراسات الخليج، ١٩٨٥، ص١٠٩-١١٠.

(٥٩)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤٠. الرحلة الناصرية، ص٥٣٧. ويذكر العياشي أن إمرة المدينة كانت سابقاً في ولايتها لبني حسين، بينما كانت إمرة مكة لبني حسن، وكثيراً ما كانت تقع بينهم حروب، وامتاز بني حسن بالقوة والبطش فتغلبوا على بني حسن الذين لم يبقى لهم من ولاية المدينة إلّا رسوم قليلة، وصار معظمهم يرحلون وينزلون بنواحي المدينة. الرحلة العياشية، ج١، ص٤٦٤.

(٦٠)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٣٧. الرحلة الناصرية، ص٥٣٤.

(٦١)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٣٦.

(٦٢)**القنطار**: ويساوي من حيث الأساس ١٠٠ رطل وإن اختلف من منطقة لأخرى بل ومن مدينة لأخرى في نفس المنطقة ففي دمشق مثلاً كان يساوي ١٨٥ كغم بينما كان يساوي في كل من حلب وحماه ٢٢٨ كغم. وفي بغداد كان يساوي ٣٢٧كغم، بينم كان في البصرة ٢٣٣ كغم. فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، عمان : منشورات الجامعة الأردنية ، ١٩٧٠ ، ص٤٠-٤٣.

(٦٣)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٣٨. الرحلة الناصرية، ص٥٣٨.

(٦٤)هشام عبد العزيز، ملامح من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة عام ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م من خلال الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية للمراد آبادي، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الثانية، العدد ٤، ١٤٣٥هـ، ص٧٦١.

[٦٥]**باب النساء:** ويقع في الجدار الشرقي للمسجد وقد فتح في عهد عمر بن الخطاب وسُمي بباب النساء لما روي عن سيدنا عمر أنه قال "لو تركنا هذا الباب للنساء". وكان يسمى بباب ريطة بن العباس لوقوعه أمام بيتها. إمام، المدينة المنورة، ص١٧.

[٦٦]وتُعرف بالقبة الشريفة وقد بنيت أولاً في عهد السلطان المملوكي قلاوون ثم أعيد بناؤها في عهد السلطان قايتباي وكان لونها أزرق، ثم أعيد بناؤها في عهد السلطان العثماني محمود الثاني وصبغها باللون الأخضر. إمام، المدينة المنورة، ص٣٧.

[٦٧]لمزيد من التفاصيل حول يوم الكنيس انظر: الرحلة العياشية، ج١، ص٤٣٦. الرحلة الناصرية، ص٥٣٣. النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص٤٣٠.

[٦٨]النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص٤٣٠.

[٦٩]المصدر نفسه ، ص٤٣١.

[٧٠]اختلف في أصل كلمة آغا فقيل بأنها تركية من المصدر أغمق ومعناه الكبر وتقدم السن وقيل أنه من الكلمة الفارسية "آغا" وتطلق في التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة وعلى الخادم الخصي الذي يؤذن له بدخول غرف النساء. وقيل أنها من أصل منغولي وتعني أمير كبير ورئيس وشريف وخصي واستعمل عن العثمانيين لقباً بمنزلة خواجا وأفندي ويلقب بها كبير الخدم والأخ الأكبر وكبير البيت والمأمورين في العسكرية والبحرية والخصيان في البيوت الخصوصية. وكان يلقب بالآغا أيضاً رؤساء الإنكشارية ورؤساء الخصيان في البلاط الملكي. انظر: مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية: دارسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية ١٥١٧-١٩٢٤، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠، ص١٧٣. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٠، ص١٦-١٧.

[٧١]محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر، مصر: مطبعة الجمالية، ١٣٢٩هـ، ص٢٤٢.

[٧٢]عاصم حمدان، حارة الآغوات، صورة أدبية للمدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري، جدة دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٩٩٢، ص٢٣.

[٧٣]الرحلة العياشية، ج١، ص٤٥٨. الرحلة الناصرية، ص٥٥١.

[٧٤]الرحلة الناصرية، ص٥٥٢.

[٧٥]الرحلة العياشية، ج١، ص٤٦٢.

[٧٦]الرحلة العياشية، ج١، ص٤٦٠. الشهري، المسجد النبوي، ص٣٨٨.

[٧٧]الرحلة الناصرية، ص٥٥٠. ودكة الأغوات هي عبارة عن مصطبة مسطحها نحو ١٢ متراً طولاً وعرضها ثمانية أمتار، ويرتفع عن الأرض نحو أربعين سم، وكانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مكاناً لأهل الصفة وهم قوم من العفاة والمتقاعدين كان يصرف لهم الرسول صلى الله عليه وسلم كل ما كان يقوم بحياتهم من غذاء وكسوة. ومنهم أبو هريرة وأبو ذر الغفاري. رحلة البتنوني، ص٢٤٠.

(٧٨)عبد الرحمن مديرسالمديرسي، المدينة المنورة في العصر المملوكي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠١، ص٢١٢. الشهري، المسجد النبوي، ص٣٨٧، ويذكر الشهري بأنهم اشتركوا مع الأغوات الكبار في بعض الأعمال المتعلقة بخدمة المسجد وإنارته والمتمثلة في مرابطة عدد من البوابين في كل ليلة لحراسة الحجرة الشريفة والمسجد. وقيامهم وقت السحور بعد فتح باب النساء للمؤذن الأول بإسراج ما يلزم من قناديل المسجد وشمعداناته. وكانوا يشتركون مع المناوبين من وكلاء الفراشين في إطفاء القناديل بعد صلاة الفجر وتزويدها بالزيت والفتائل.

(٧٩)الرحلة الناصرية، ص٥٥١.

(٨٠)المصدر نفسه، ص٥٥١.

(٨١)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٦٣.

(٨٢)امحزون، المدينة المنورة ،٣٥.

(٨٣)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٦٣.

(٨٤)الرحلة الناصرية، ص٥٥١.

(٨٥)حمدان، حارة الأغوات، ص٧٩. الشهري، المسجد النبوي، ص٣٨٥.

(٨٦)الرحلة الناصرية، ص٥٥١.

(٨٧)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٦٢.

(٨٨)الرحلة الناصرية ، ص٥٣٧.

(٨٩)الرحلة الناصرية، ص٥٣٤.

(٩٠)المصدر نفسه، ص٤٧٨.

(٩١)الرحلة العياشية، ج١، ص٣٨٥.

(٩٢)المصدر نفسه، ج١، ص٤٣٤.

(٩٣)المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٤.

(٩٤)الرحلة العياشية، ج١، ص٣٨٤.

(٩٥)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٥٤. الرحلة الناصرية، ص٥٤١.

(٩٦)الرحلة الناصرية، ص٥٣٣.

(٩٧)نواب، كتب الرحلات، ص٤٣٢.

(٩٨)البتنوتي، الرحلة الحجازية، ص٢٦٥.

(٩٩)المصدر نفسه، ص٢٦٠.

(١٠٠)**جبل سَلْع**: بفتح أوله وسكون ثانيه يقع في سوق المدينة المنورة بالقرب من المسجد النبوي. الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٣٦.

(١٠١)النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص٤٣٦.

(١٠٢)الرحلة الناصرية، ص٤٦٦.

(١٠٣)نواب، كتب الرحلات، ص٤٣٢.

(١٠٤)الرحلة الناصرية، ص٥٤٩.

(١٠٥)المديرس، المدينة المنورة، ص١٥٥

(١٠٦)**الدشوت:** وربما يقصد بها البشوت وهي جمع بشت وهي العباءة. امحزون، المدينة المنورة، ص٢٢٨.

(١٠٧)**الأقبية:** جمع قباء وهو الثوب. ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٣٥.

(١٠٨)**السيور**: جمع سير وهو جزء من الجلد إذا كان طويلاً نسبياً. وسير النعال هو جلد النعال. امحزون، المدينة المنورة، ص٢٢٨.

(١٠٩)**السرجومة:** لفظ فارسي وهو الخف الواسع. امحزون، المدينة المنورة، ص٢٢٨.

(١١٠)الرحلةلعياشية ،ج١ ، ص ٤٥٧.

(١١١)المصدر نفسه ، ج٢ ص ٤٦

(١١٢)المصدر نفسه ، ج١، ص٤٥٧.

(١١٣)المصدر نفسه ، ج١ ،ص ٤٢٤ .

(١١٤)العوالي: هي المنطقة التي تقع جنوب المدينة باتجاه مكة ويقابلها السافلة الواقعة على طريق الشام. المديرس، المدينة المنورة، ص٩٤.

(١١٥) المرجع نفسه، ص٩٥.

(١١٦)النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص٣٧٠.

(١١٧)الرحلة الناصرية، ص٥٤٢.

(١١٨)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٥٤. الرحلة الناصرية، ص٥٤١.

(١١٩)المديرس، المدينة المنورة، ص٩١. ويذكر المديرس اعتماداً على بعض المصادر بأنه في عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م أدت الأمطار الغزيرة والسيول الجارفة إل إلحاق الضرر بالمسجد النبوي وبالكثير من البيوت، كما دمرت أعداداً كبيرة من النخيل والمحاصيل الزراعية علاوة على تدمير بعض العيون التي يستقي منها أهل المدينة كعين الأزرق، وقد أعقب ذلك غزوات الجراد بشكل كثيف دمر المزروعات والمحاصيل.

(١٢٠)**آصع:**ويُعرف أيضاً بالصاع وهو وحدة وزن لكيل الحبوب والفواكه الجافة والزيوت وأشباهها، ولفظ الصاع يُذّكر ويؤنث فالمؤنث يجمع على أصوع والمذكر يجمع على أصواع ويساوي الصاع أربعة أمداد، ويساوي المد الواحد ١ ٣/١ رطل برطل المدينة المنورة. ومقدار الصاع في الوزن يساوي ٢,٤٠٠ كغم. هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص٣٤١.

(١٢١)**الريال:** كلمة مشتقة من الكلمة الإسبانية Real بمعنى الثمن غير أنها تعني الملكي، واختلفت أسماؤه وأنواعه من فترة إلى أخرى فهناك ريال سينكو وريال أبو طاقة وريال أبو مدفع وريال شوشة وريال أبو عامود وغير ذلك. انستاس الكرملي، النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة :المكتبة العصرية ،١٩٣٩، ص١٧٤.

(١٢٢)**الرطل:** اختلف وزنه من بلد لآخر ويذكر هنتس أن رطل المدينة أواخر العصور الوسطى كان يساوي ٦٠٩ غم بينما بلغ وزن رطل مكة ٤٠٨غم. هنتس، المكاييل والأوزان، ٣٠٥.

(١٢٣)**المائدية:** وتعرف أيضاً بالمؤيدي أو الميدي وجمعها ميايدة . وهو اللفظ الذي كان يطلقه العامة على عملة النصف فضة . ويرجع أصل هذه التسمية عندما قام الملك المؤيد أبو النصر المحمودي الذي حكم مصر

خلال الفترة ١٤١٢- ١٤٢١ بضرب أنصاف دراهم عرفها الناس باسمه فكان يقال لها مؤيدي أو ميدي . أنظر :. موسى الحسيني المازندراني، تاريخ النقود الإسلامية، بيروت: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ١٩٨٨، ص١٥٧. أحمد الصاوي ، نقود مصر العثمانية ، القاهرة : مركز الحضارة العربية ، ، ص ٨٤ .

(١٢٤)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٥٤.

(١٢٥)**الربع أو الربعة:** وحدة وزن تساوي ¼ قدح، ويساوي القدح ٧٠٦ غم. هنتس، المكاييل والأوزان، ص٦٤-٦٥.

(١٢٦)**الدينار:** كلمة رومية من دينارويوسDenarius ومعناها نقد ذو عشرة آسات واختلفت قيمته باختلاف الزمان والمكان. الكرملي، النقود العربية ، ص٤٥ ولمزيد من التفاصيل: انظر: أحمد السيد الصاوي، نقود مصر العثمانية، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠١، ص٣-٧.

(١٢٧)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤٨. الرحلة الناصرية، ص٥٣٩.

(١٢٨)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤٨.

(١٢٩)الرحلة العياشية، ج١ ص٤٨٨. الرحلة الناصرية، ص٥٣٩.

(١٣٠)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤٩. الرحلة الناصرية، ص٥٤٠.

(١٣١)ولمزيد من التفاصيل حول هذه الآبار ومواقعها. انظر: الرحلة العياشية، ج١، ص٤٠٩-٤١٥. أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي، الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق عبد العالي لمدبر، الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، ص١٦٩-١٧١.

(١٣٢)المصدر نفسه، ج١، ص٤٠٩-٤١٠.

(١٣٣)**عين الزرقاء:** تقع غربي مسجد قباء، وتُعد من أشهر عيون المدينة، وسُميت بالزرقاء نسبة لمروان بن الحكم الذي أجراها بأمر من معاوية بن أبي سفيان عندما كان عاملاً له على المدينة، وكان يُسمى بالأزرق لزرقة عينيه. التبنوتي، ص٢٥٧. المديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص٩٠.

(١٣٤)الرحلة العياشية، ج١، ص٤١٠.

(١٣٥)النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص٤٣١.

(١٣٦)الرحلة العياشية، ج١، ص٤١٩.

(١٣٧)المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٠.

(١٣٨)المصدر نفسه، ج١، ص٤٢١.

(١٣٩)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٥٧.

(١٤٠)الرحلة العياشية، ج١، ص٣٩٣.

(١٤١)أخرجه البخاري.

(١٤٢)الرحلة العياشية، ج١، ص٣٨٦.

(١٤٣)الرحلة العياشية، ج١، ص٣٥٨.

(١٤٤)الحضيكي، الرحلة الحجازية، ص١٦٧. الرحلة العياشية، ج١، ٣٩٦. الرحلة الناصرية، ص٤٩٢.

(١٤٥)الرحلة العياشية، ج١، ص٣٩٦.

(١٤٦)الحضيكي، الرحلة الحجازية، ص١٦٥.

(١٤٧)سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

(١٤٨)الحضيكي، الرحلة الحجازية، ص١٦٨. الرحلة العياشية، ج١، ص٣٩٧-٣٩٨. الرحلة الناصرية، ص٤٦٥.

(١٤٩)الرحلة الناصرية، ص٥٣٦.

(١٥٠)المصدر نفسه، ص٥٣٦.

(١٥١)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤١. الرحلة الناصرية، ص٥٣٧.

(١٥٢)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤١.

(١٥٣)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤١. الرحلة الناصرية، ص٥٣٨.

(١٥٤)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤١.

(١٥٥)**باب الرحمة:** ويقع في الجدار الغربي للمسجد النبوي وهو أحد الأبواب الثلاثة التي فتحها الرسول صلى الله عليه وسلم في المسجد حين بناه، وكان لهذا الباب أسماء أخرى مثل باب عاتكة لوقوعه أمام دار عاتكه بنت يزيد بن معاوية. إمام، المدينة المنورة ، ص١٥.

(١٥٦)ويقع باب جبريل في الجدار الشرقي للمسجد وسمي بذلك وذلك لِما ورد أن جبريل عليه السلام جاء على فرس ووقف باب المسجد عند موضع الجنائز وأشار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمسير إلى بني قريظة: وكان موقف جبريل مقابل حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها. إمام، المدينة المنورة، ص١٦.

(١٥٧)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤٨. الرحلة الناصرية، ص٥٣٩. مقبرة البقيع وتُعرف أيضاً باسم بقيع الغرقد نسبة إلى شجر العوسج الشوكي الذي كان ينبت في هذا المكان قبل اتخاذه مقبرة. وتقع في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد النبوي خارج سور المدينة القديم، وتُعد المقبرة الرئيسة لأهل المدينة المنورة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيها قبور العديد من صحابته وأهل بيته. وتقدر مساحتها حالياً بنحو 1,74,962م^{2}. إمام، المدينة المنورة، ص٩٥-٩٩.

(١٥٨)رحلة البتنوني، ص٢٦.

(١٥٩)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤٠.

(١٦٠)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٤٠.

(١٦١)فرديناندفوستفيلد، أشراف مكة، ترجمة محمود كبيبو، بغداد: الوراق للنشر، ٢٠١٥، ص٨٦.

(١٦٢)المصدر نفسه، ج١، ص٤٤١. ووقعت حادثة الاغتيال في شهر آب ١٦٤٩. ويذكر فوستفلد بأن القاضي طعن في ظهره بخنجر دخل إلى صدره. ووقع ذلك وهو على حصانه أمام دائرة الخزينة. وكانت آخر كلمة قالها بعد نقله إلى منصة عثمان بن عفان بالحرم يا رسول الله ! يا رسول الله. انظر فوستفيلد، أشراف مكة، ص٨٦.

(١٦٣)فوستفيلد، أشراف مكة، ص٨٦.

(١٦٤)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٦٧.

(١٦٥)الرحلة العياشية ، ج١، ص٤٦٦.

(١٦٦)**ينبع:** وتقع على الضفة الشرقية من ساحل البحر الأحمر، وهي ضمن منطقة المدينة المنورة عرفت بهذا الاسم لكثرة الينابيع والعيون فيها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥ أجزاء، بيروت: دار صادر، ١٩٨٤، ج٥، ص٤٥٠.

(١٦٧)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٦٧.

(١٦٨)**الملا إبراهيم الكوراني:** أحد العلماء ممن تعلموا سائر العلوم العقلية فكانت له الملكة التامة، قصد الحجاز وأقام في المدينة المنورة، حيث لقي فيها الإمام صفي الدين القشاشي فانتفع به وتلمذ له وتزوج ابنته، ووقعت بينه وبين علماء فارس مراسلة في مسألتي الغرانيق والكسب. توفي في المدينة عام ١٠٠٢هـ/١٥٩٤م، الكتاني، فهرس الفهارس. ج١، ص٤٩٢-٤٩٤. محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الأفراني، صفوة من انتشر في أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي، ٢٠٠٤، ص٣٥٠.

(١٦٩)**صفي الدين القشاشي:** وهو صفي الدين أحمد بن محمد يونس الملقب بعبد النبي القشاشي الدجاني المقدسي المدني. متصوف ومالكي المذهب، له مشاركة كبيرة في مختلف العلوم وبخاصة التصوف، توفي سنة ١٠٧١هـ/١٦٦١م. القادري، نشر المثاني، ج٢، ص١١٣-١١٤. نواب، كتب الرحلات، ص٥١٧-٥٢٠.

(١٧٠)الرحلة العياشية، ج١، ص٤٦٦.

(١٧١)المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٤.

References

1-Quran, Surat Al-Imran, verses 169-173.
2)Muhammad Ali Fahim Bayoumi, Moroccans in Madinah during the twelfth century AH / 18th century, Cairo: Cairo House, 2006, pp. 13-14.
3 (Awatif deputies, travel books in the Far Maghreb source from the sources of Hijaz in the eleventh and twelfth century AH, Riyadh: King Abdul Aziz, 2006, p. 26.
4)Bayoumi, Moroccans in Medina, p. 15.(
5)Council for Culture, Arts and Letters, 1989, p.
6) Deputies, travel books, p. 19.
7)Abu Salem al-Ayashi, the need for impact after the people of the impact, the achievement of its golden value, Casablanca: Press success new, 1996, p. Mohammed Amhzun, Medina on the journey of Ayachi, Kuwait: Dar Al-Arqam for publication and distribution, 1988, p. 47.
8)Ayachi, Impact Requirement, p. 21). Amhazoun, Medina, p. 48.
9)Al-Ayashi, Impairment Effect, pp. 31-34. Muhammad Makaman, The Moroccan Journeys in the 11th and 12th Centuries of Migration, corresponding to the Seventeenth and Eighteenth Centuries, Rabat: The Security Press, 2014, p. 200.
10)Abu Salem Abdullah bin Mohammed Al Ayashi, The Journey of Ayyashiyya, 2C, Investigation of Saeed Al Fadhli and Sulaiman Al Qurashi, Abu Dhabi: Dar Al Suwaidi for Publishing and Distribution, c 1, p. 365.
11)Abd al-Ghani al-Nabulsi, Truth and Miracles in the Journey to the Levant, Egypt and the Hijaz, presented and prepared by Ahmed Abdel-Majid El-Haridi, Cairo: The General Egyptian Book Organization, 1986, p.

12)The Naqshbandi method is attributed to Shah Naqshbandi of India in the fourteenth century AD. Especially in the male, and opposed the idea of pantheism with the idea of unity of witnesses, that is, unity is not real, but it seems so. Abdul Ghani al-Nabulsi, the human civilization in the holy journey, the investigation of Akram al-Olabi, Beirut: Dar Sader, 1990, p. 17
13) (Introduction investigator). Kamel Al-Asali, Science Institutes in Jerusalem, Amman: Cooperative Press Workers Association, 1981, p. 311.

14)Qadiriyah: Founded by Abdul Qadir al-Jilani in the sixth century AH, one of the most prominent Sufi leaders, was born in Jilan in Iran and died in Baghdad. Asali, Science Institutes, p. 311.
15)Muhammad Khalil bin Ali al-Mouradi, Abu al-Fadl, the wire of the dynasty in the twelfth century, four parts, Beirut: Dar al-Bashaer Islamic, 1988, 3, p.
16) Kamel al-Asali, Jerusalem in Journey Literature, Amman, 1992, p. 101.
17)Al-Muradi, Al-Dirar wire, c. 3, p. 31. Nabulsi, Truth and Miracles, p.
19)Abd al-Hayy ibn Abd al-Kabir al-Kettani, Index of Indexes, Proofs and Dictionary of Dictionaries, Missions and Series, Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1982, 1, p. 679.
20)Al-Quds Al-Arabi Weekly, The Twenty-seventh Year, Issue 8156, July 5, 2015, p.
21)Abu al-Abbas Ahmed bin Mohammed bin Nasser al-Derai, the journey of Nasiriyah 1709-1710, the investigation of Abdul-Hafiz Maluki, Abu Dhabi: Dar Al-Suwaidi for publication and distribution, 2008, p. 22.
22)Al-Ansari Mosque was founded by Sheikh Amr Bin Ahmad Al-Ansari in 1575 in the village of Tamkrout, and its name was associated with its name and then was called Al Husayniyya Al-Husayniyyah, in the name of Sheikh Abdullah Bin Hussain Al-Siraqi who succeeded the founding Sheikh. Al-Quds Al-Arabi Weekly, previous issue, p.
23)Muhammad al-Tawfiq, Rabat: Publications of the Moroccan Association for the Composition, Translation and Publishing, 1982, c. 2, p. 211.
24) Muhammad Ibn Al-Haj bin Mohammed bin Abdullah Al-Efrani, Safwa from the Salha of the 11th Century, by Abdel-Majid Khaili, Casablanca: Center of Moroccan Cultural Heritage, 2004, p. 365.
25)Al-Qadri, Al-Muthani, 3, p. 234
26)Ephrani, elite of spread, p. 364.
27)Nasiriyah), p. 27.
28)Nasiriyah), p. 28. Efrani, elite of spread, p. 365.
29)Nasiriyah), p. 35. Linen, Index of Catalogs, p. 679.
(30) Al-Jamkiyya: It is a Persian word meaning "dress". The term is the monthly pension (salary), which is given from the yield of endowments to the owners of jobs. Ahmed Al-Saeed Salman, Rehabilitation of what was mentioned in the history of al-Jabrti of Dakhil, Cairo, 1979, p. 95.
31)Muhammad Amim al-Majdid al-Baraqti, Jurisprudence Definitions and Glossary Explaining the terms used by jurists, fundamentalists and other religious scholars, Beirut: Dar Al-Sallami, 2003, p. 68.
32) The journey of the living, c. 1, p.
33)Abu Issa al-Tha'ali: He is a jurist and modernist from Algeria, born in 1020 AH / 1611 AD. His index is called the treasure of narrators and arranged on the names of elders where he begins to identify Sheikh and mentioned his books and the names of

elders and then mentions every book read it. He died in 1080 AH / 1669 AD. Afrani, elite of spread, pp. 283-285. Linen,
34) catalog of catalogs, c. 1, pp. 806-808. The Journey of Athenianism, c 1, p. 446.
35)Amhzun, Medina, pp. 227-228.
36)Muhammad Sulaiman al-Roudani was born in 1027 AH / 1627 AD in Taroudant, Morocco. He then emigrated to Sijelmassa and Marrakech. He then returned to his country, but later moved back to Marrakesh and then to Algeria and then to Medina Al-Munawwarah where he stayed in isolation from people does not come out except at night. Al-Roudani has worked in many professions such as drafting, publishing books, preaching and glass molding, and invented a machine in the science of timing and the body. He died in Damascus in 1095 AH / 1684 AD. The Nasiriyah Journey, pp. 421-437. Lovers, Abstract of the Effect, C4, p. 204. Afrani,
37) elite of spread, pp. 133-333. The Journey of the Apocalypse, C2, pp. 43-53.
38) The Journey of the Past, c. 2, p. 50.
39)Maseqeeq): It is an agreement between the owner of the land and the farmer to invest the trees so that the trees are from the owner of the land and the work of the farmer. It is known as the meadows where it undertakes to carry out all the requirements that the tree needs from tillage, fertilization, irrigation, trimming, care and harvesting of fruits in exchange for a certain share of fruit or trees. See: Malik bin Anas, Al-Mouta, 2c, investigation Fouad Abdel Baqi, Cairo: House of Revival Arabic books 1951, c 2, p. 705.
40)Salim Rustom Bouz, Lebanon, Journal, 2c, Beirut: Dar al-Kitab al-Ulmiyya, DT, C 2, p.
41) The Journey of Life, 1, p. 442. The Nasiriyah Journey, p. 538.
42) The first to make the mihrab that is located in the place of the prayer of the Prophet peace be upon him the governor Omar bin Abdul Aziz in 91 AH / 710 AD. Imam, Medina, p. 26.
42)The Ottoman mihrab: It is the place of the prayer of Uthman ibn Affan, may Allah be pleased with him after the expansion of the mosque in his reign. Mohieddin Imam, Madinah Al Munawwarah, Bilqas, 2000, p. 27.
43)The Journey of Life, 1, p. 442. The Nasiriyah Journey, p. Nabulsi, Truth and Miracles, p. 345.
44) Al-Ayyashiyah trip, c 1, p. 442-443.
45)Al-Muraqi is the one who is responsible for the promotion of the khateeb. His mission is to remind the khateeb of the date of the khutbah, and it is characterized by a loud voice. This post was initially created due to the presence of the pulpit in the middle of the mosque. Monthly, the Prophet's Mosque, p. 416
46) Madiras, Medina, p. 91. According to some sources, according to some sources, in 686 AH / 1287 AD heavy rains and torrential rains caused damage to the Prophet's Mosque and many houses, and destroyed large numbers of palm trees and agricultural crops, as well as the destruction of some of the eyes from which the people of the city derive from Ein Al-Azraq. Massive locust invasions destroyed crops and crops.
47) Asa: Also known as the unit is the weight of grain and dry fruits and oils and the like, and the wording of the Saa'i mentions and feminine Walshat collects on the ear and the masculine collects on the four corners and equal to the supply, and equal to the tide 1/3 1 pounds per pound Medina. The weight in weight is 2,400 kg. Hints, the pennies and Islamic weights, p. 341.

48)Real is a word derived from the Spanish word Real, meaning the price, but it means royal, and its names and types varied from time to time. There are Real Sinco, Riyal Abu Taqa, Riyal Abu Medfun, Riyal Shousha, Riyal Abu Amoud and others. Anastas al-Karmali, Arab Money and Numismatics, Cairo: Modern Library, 1939, p. 174.
49)Lb) The weight of the country varies from country to country. He notes that the city pound in the late Middle Ages was equal to 609 grams while the weight of a pound of Mecca was 408 grams. Hents, piles and weights, 305.
50) The door of mercy: It is located in the western wall of the Prophet's Mosque, one of the three doors opened by the Prophet peace be upon him in the mosque when he built it, and the door had other names such as the door of Autek, Imam, Medina, p. 15.
51)The door of Jibril is located in the eastern wall of the mosque. It was named because Jibril (peace be upon him) came upon a horse and stopped the door of the mosque at the place of funerals. He pointed to the Prophet peace be upon him by the path to Bani Qurayza. Imam, Medina, p .p. 448.
52)The Nasiriyah Journey, p. Al-Baqi 'cemetery is also known as Baqeeq al-Ghardaq, in relation to the spruce tree that was built in this place before it was taken as a graveyard. It is located in the south-eastern part of the Prophet's Mosque outside the city's old wall. It is the main cemetery for the people of Madinah since the time of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) and the graves of many of his companions and family. It is currently estimated at 1,74,962 square meters. Imam, Medina, pp. 95-99.

53)Mullah Ibrahim al-Kurani: One of the scholars who learned the rest of the mental sciences was the queen full, the intention of the Hijaz and lived in Medina, where he received the Imam Safi al-Din al-Qashashi, and benefited him and his pupil and married his daughter, and signed between him and the scholars of Persia correspondent in the issues of Granny and gain. He died in the city in 1002 AH / 1594 CE, Linen, catalog of catalogs. C1, pp. 492-494.
54) Muhammad ibn al-Haj bin Mohammed bin Abdullah al-Afrani, Safwa, published in the Salha 11th century, edited by Abdel-Majid Khaili, Casablanca: Center of Moroccan Cultural Heritage, 2004, p.
55) Safi al-Din al-Qashashi: It is Safi al-Din Ahmad ibn Muhammad Yunus, nicknamed the slave of the Prophet Al-Qashashi Dajani al-Maqdisi. Sufi and the owners of the doctrine, has a great participation in various sciences, especially Sufism, died in 1071 AH / 1661 AD. Al-Qadri, Al-Muthani, C2, pp. 1111-114. Deputies, Travel Books, pp. 517-520.